الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
-البويرة-
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
Tasdawit Akli Muḥend Ulḥağ - Tubirett -
Faculté des Sciences Sociales et Humaines

جامعة البويرة

قسم : التاريخ

الأوضاع الاجتماعية والثقافية في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني كنموذج "مذكرة وليام شالر"

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث

تخصص : تاريخ حديث

إعداد الطالبتين:

- **يعلى سيرين**
- **عزيزي سندس**

إشراف الأستاذ:

مرجي عبد الحليم

لجنة المناقشة:

1- : د/ سيريج محمد.....رئيسًا

2- : أ/مرجي عبد الحليم.....مشْرِفًا ومقرّرًا

3- : د/ بودريعة ياسين.....عضوًا و مناقشا

السنة الجامعية 2019-2020

بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٢٠

شكر وعرفان

قد لا تكفينا كلمات العالم للتعبير عن معنى الشكر والعرفان
وقد لا يوصف معنى التقدير والامتنان
نتوجه بالشكر الجزيل للمولى عز وجل قبل كل شيء من
لا يشك
ر الناس لا يشكر الله
نقدم تحياتنا الخالصة إلى الدكتور سيريج محمد و الذي له
منا محبة خاصة و إلى الأستاذ المشرف عبد الحليم مرجي
الذي كان سندا وعونا لنا، من خلال إرشاده ومراقبته
الدائمة لكل خطوة نتقدم بها في بحثنا هذا
وكل الامتنان والعرفان إلى الدكتور بودريعة ياسين
والدكتور
قاسيمي زيدين الذين قدما لنا مساعدة كبيرة ووجهونا
إلى ما فيه صلاح
فشكرا جزيلا لكم أنتم حقا كما قال للشاعر:
" قم للمعلم وأوفه التبجيلا****كاد المعلم أن يكون
رسولا
ونشكر كذلك كافة أساتذة التاريخ على الجهود التي بذلوها
لأجلنا و نرجو من المولى أن يجزيهم عنا أحسن جزاء

الإهداء

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على النور المهدى الرسول الكريم

نبينا وإمامنا وقائدنا والذي جاءنا بالقرآن الكريم وأول آية فيه: "اقرأ باسم ربك

الذي خلق" والتي كانت الانطلاقة لما وصلنا إليه اليوم، وبهذا

أهدي ثمرة عملي ونور آخر شمعة في مشواري الدراسي إلى:

الذين قال فيهما الله: "وبالوالدين احسانا"

إلى التي حملتني وهنا على وهن وسهرت من أجلي، ينبوع الحنان والود،

مصدر العطاء والحب "أمي الغالية"

إلى الذي لم يبخل علي بكل ما يملك والذي إذا بقيت أعد فضائله فلن

أحصيها، الذي تحمل مشقة تعليمي وبفضل الله ثم بفضله وصلت إلى ما أنا عليه

أعز الرجل

"أبي الغالي"

إلى شموع حياتي اخوتي: "أخي أمين"، "أختي عائشة"

إلى أعز صديقاتي "خابو منال" وصديقتي في المذكرة "يحلى سيرين"

إلى من ساندوني وساعدوني طيلة انجازي

عملي هذا "زوجة أخي شيماء"، "خالتي"، "نادية"

إلى زملائي في العمل

إلى كل أساتذتي من المدرسة القرآنية إلى الجامعة التي أعطتني الفرصة

لأضع بين ما هو في أيديكم هذا العمل

سندس

الإهداء

الحمد لله الذي اعاننا بالعلم و زيننا بالحلم و اكرمنا بالتقوى و اجملنا بالعافيةو انار لنا دربه العلم

أتقدم بإهداء عملي المتواضع الى ثمرة جسدي و اجتهادي و اعظم مخلوقة في هذا الوجود و التي وهبتني الحياة و كانت سر وجودي و فرحي ،كلماتي ابعثها اليك مع عبير الورد و اريج الفل و الياسمين و التي مهما وصفتها لا استطيع "امي الحبيبة"

و الى الذرع الواقي و الكنز الباقي،و الذي جعل العلم منبع اشتياقي و النفس التي صنعت طموحي و اليوم يرى لحظة كبري و نجاحي و الذي احمل اسمه "ابي الغالي"

الى اختي الغالية"وسام" وزوجها و ابناءهما حفظهما الله "اده"و "اياد"

و الى اخي العزيز و زوجته و ابنائهما رعاهما الله "امنية" و "محمد"

و الى روح عمي "يحلى عبد الغاني" رحمه الله "و اسكنه فسيح جنانه

و الى اعز صديقاتي " خابو منال" و زميلتي في المذكرة "عزيزي سندس"

و الى رفيق دربي "مريني الطيب"

سيرين

قائمة المختصرات:

بالعربية :

ج: الجزء

ط: الطبعة

تر: الترجمة

تع ب: تعريب

تع: التعليق

د.ن.ت: دار النشر والتوزيع

مج: المجلد

ع: العدد

د.غ.إ: دار الغرب الإسلامي

د.ط: دون طبعة

ش.و.ن.ت: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع

د.د.ن: دون دار النشر

باللغة الفرنسية :

P :page(الصفحة)

Op-cit :opercitat(المرجع نفسه أو المصدر السابق)

Trad :traduction : (ترجمة)

باللغة الإنجليزية:

Ibid : (نفس المرجع او المصدر السابق)

مقدمة

مقدمة:

شهدت الجزائر تغيرات جذرية خلال القرن 16 م حيث أصبحت أيالة عثمانية متفردة بذلك عن جيرانها بمنطقة المغرب العربي منذ سنة 1518م ، مرتبطة بالدولة العثمانية – الدولة العلية– مثل بقية الولايات العربية الأخرى، وذلك بعد التدخل العثماني – الإخوة بربروس– نتيجة الظروف السائدة في المغرب العربي عموما والمغرب الأوسط على وجه الخصوص ، ومن ثمة أصبحت أيالة الجزائر العثمانية سيدة البحر المتوسط وعرفت العديد من التطورات في كافة الميادين والمجالات سواء السياسية والاقتصادية والاجتماعية وحتى الثقافية والتي كانت محل اهتمام العديد من جمهور الدارسين للتاريخ والمؤرخين سواء المحليين أو الأجانب من قناصل والأسرى وغيرهما أمثال القنصل وليام شالر الذي ترك لنا مذكرة قيمة ذات رصيد كافي عن أهمية مجتمع المدينة وفاعليته وتقسيم هذا المجتمع إلى فئات وشرائح سكنت المدينة ولعبت أدوارا مهمة مع الحفاظ على عاداتهم وممارساتهم الاجتماعية، إضافة إلى ذلك ميزها الطابع الثقافي من خلال المراكز والمؤسسات التعليمية التي لعبت الكثير من الأدوار التعليمية والدينية وبما أن موضوع الحياة الاجتماعية والثقافية يعد من أهم المواضيع كانا محور دراستنا في البحث.

– أسباب اختيار الموضوع:

ولعل من الدوافع التي قادتنا لدراسة لاختيار هذا الموضوع الذي جاء موسوم بعنوان :"الحياة الاجتماعية والثقافية في مدينة الجزائر من خلال مذكرة وليام شالر"حيث نذكر منها:

أ– عوامل موضوعية: والمتمثلة في:

–الرغبة في التعرف على اختلاف آراء الكتاب والمؤرخين الأجانب حول مدينة الجزائر.

-محاولة إبراز الحالة الاجتماعية للسكان من خلال فئاتهم وتوزيعهم في المدينة ومختلف الأنشطة التي مارسوها.

- الرغبة في اكتشاف دور المراكز التعليمية من مساجد ومدارس وجعلها تسير وفق نظام خطط له من طرف الإدارة العثمانية.

- شغفنا في التطلع على شهادات ومذكرات القناصل وأسرى بما فيهم القنصل وليام شالر وظروف مجيئه للجزائر ونظرته حول الحياة الاجتماعية والثقافية خلال الفترة التي قضاها بالجزائر.

ب- عوامل الذاتية:

- ميولنا الشخصي إلى دراسة تاريخ الجزائر في الفترة الحديثة والبحث حول ما كتب عن تلك الفترة.

الرغبة الملحة في معالجة هذا الموضوع الذي لفت انتباهنا وبحكم أن موضوعنا يخص التركيبة الاجتماعية والمراكز التعليمية للدولة العثمانية في الجزائر كان علينا الالتزام بفترة زمنية وهي أواخر العهد العثماني أي فترة الدايات والتي تزامنت مع وجود شالر في الجزائر

- إشكالية الموضوع:

إن كان البحث والتنقيب في مثل هذه الموضوعات هما عمليتان شائكتان تتطلبان الحيطة والحذر في تقرير بعض الحقائق أو نفيها وخاصة عندما تكون من منظور الباحثين الأجانب، فإن النقطة المركزية التي نحاول الوصول إليها من خلال هذا العمل المتواضع هو: كيف اتسمت وتميزت الحياة الاجتماعية والثقافية في مدينة الجزائر أوخر العهد العثماني خلال فترة حكم الدايات من خلال كتابات الأجانب أمثال القنصل الامريكي وليام شالر؟

من خلال الإشكالية العامة والرئيسية نطرح جملة من التساؤلات الفرعية والتي عالجناها في كل فصل وهي كالتالي:

- بما تتميز الجزائر؟ وكيف وصفها الأجانب؟
- ماهية شخصية وليام شالر؟ وما علاقته بالجزائر؟
- ما هي أهم مميزات الحياة الاجتماعية؟
- وفيما تتمثل العناصر المكونة لمجتمع مدينة الجزائر؟
- كيف كانت الحياة الثقافية في الجزائر العثمانية؟
- وهل اهتم الأتراك بهذا الجانب؟
- هل استوفت مذكرة شالر كل الجوانب المرجو دراستها أم انه أهمل بعض الجوانب المهمة؟.

وقد حددنا الإطار الزماني للبحث الذي يمكن حصره في الفترة الأخيرة من الحكم العثماني بالجزائر أي فترة الدايات والتي تزامنت مع تواجد القنصل الأمريكي وليام شالر لأن هذه الفترة أرخ لها العديد من المؤرخون والقناصل والرحالة الأجانب والمحليين وتركت بصمات ذلك الواقع في الأرشيفات المحلية والأجنبية.

- خطة البحث:

لقد قسمنا موضوع بحثنا هذا بناء على طبيعة الموضوع والمادة العلمية التي تم جمعها حسب الظروف المتاحة خلال عملية البحث من مقدمة، وأربعة فصول وخاتمة وملاحق وفهارس، وعسى نستطيع الوصول إلى تقديم عرض متكامل وشامل وفقا للخطة التالية:

فالفصل الأول كان عبارة عن مدخل لموضوعنا والذي يتناول نظرة الكتاب الأجانب والمؤرخون حول مدينة الجزائر من خلال وصفها والتعريف بها، متبوعا بتعريف الشخصية القنصل وليام شالر وعلاقته بالجزائر العثمانية.

أما الفصل الثاني قد عرجنا فيه على التركيبة الاجتماعية المكونة في مدينة الجزائر من الداخل والذي يتكون من ثلاثة مباحث:

فالمبحث الأول تناول الفئات المكونة لمجتمع مدينة الجزائر بما فيها الفئة الحاكمة و الكراغلة والبرانية واليهود والقناصل، وفي المبحث الثاني تحدثنا فيه عن حياة الأسرى في الجزائر وافتدائهم، أما المبحث الثالث فقد خصصناه للحديث عن العبيد السود وأصلهم وتجارتهم.

وأما الفصل الثالث تطرقنا فيه إلى الحياة الاجتماعية لمدينة الجزائر والذي ينقسم بدوره إلى ثلاثة مباحث، حيث في المبحث الأول خصصناه للحياة اليومية التي تميز بها المجتمع تلك الفترة والمتمثلة في الأمن واللباس والطعام و الثروة ، وفي المبحث الثاني اشرنا فيه إلى الممارسات المتعلقة بالنسوة من خلال تعريف بالمرأة الحضرية ومختلف أعمالها وانشغالاتها ،وأيضا عن الزواج وشروطه خلال تلك الفترة، أما المبحث الثالث قد تناولنا عادات وتقاليد وما كان تمضية الوقت كالأسواق والحمامات والمقاهي حيث كان يجتمع السكان ويمضي أوقاتهم، إضافة إلى عاداتهم في الأعياد والمناسبات واعتقاداتهم من خرافات وأساطير.

أما الفصل الرابع فقد خصصناه للحياة الثقافية لمدينة الجزائر ويتكون من ثلاثة مباحث، فالمبحث الأول عرجنا فيه على المؤسسات التعليمية من مساجد ومدارس وزوايا وأوقاف مع إبراز دورها الفعال في التعليم والتثقيف، إضافة إلى الدور الديني الذي كانت تلعبه، وفي المبحث الثاني تحدثنا فيه عن أهمية التعليم والطرق المنتهجة لتعليم الصغار، إضافة إلى مراحله ودور المرأة وموقعها من التعليم، إضافة إلى أهم العلوم المنتشرة خلال الفترة

العثمانية، أما المبحث الثالث تطرقنا فيه الى الحياة الدينية والأدبية والفنية وعن اللغة المستعملة والدين المتبع في تلك الفترة .

وفي الأخير وضعنا خاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصلنا إليها، ثم دعمنا البحث بما توفر من ملاحق، ثم الفهرس في الأخير لكي يسهل على القارئ الوصول إلى المواضيع أو المعلومات التي يبحث عنها بسهولة.

-أهم مصادر ومراجع البحث:

لقد اعتمدنا في هذا البحث العلمي المتواضع على المصادر والمراجع الأساسية التي حاولنا جمعها بما يخدم الموضوع حسب ظروف إعداد هذا البحث، ويمكننا ذكرها في النقاط التالية:

أولا: مذكرة القنصل الأمريكي وليام شالر التي كانت مرآتنا في سير البحث.

إضافة إلى ذلك اعتمادنا على مذكرات القناصل والأسرى أمثال بفايفر وكاثكارت إلى جانب مؤلفات حمدان خوجة في كتابة "المرآة" كما استفدنا من كتاب "التحفة المرضية" وكذلك مؤلفات أجنبية لهايدو و ديفولوكس.

أما المراجع فلا غنى عن كتب ناصر الدين سعيدوني، وأبو القاسم سعد الله في دراسة مختلف جوانب الحياة الثقافية، كما استعنا بأرزقي شويتام في كتابه المجتمع الجزائري وفعاليته في تقسيم طبقات المجتمع وفئاته إضافة إلى عائشة غطاس في كتابها حرف وحرفيون من خلال ممارسات السكان وعاداتهم وتقاليدهم.

وقد طلب موضوع البحث الوقوف على منابع بعض الأطروحات والرسائل الجامعية التي تناولت جوانب الحياة الاجتماعية والثقافية منها:

- ✓ اطروحة دكتوراه للدكتور بودريعة ياسين موسومة بعنوان:" الثروة و الفقر بمدينة الجزائر حلال العهد العثماني (1786-1800) دراسة اقتصادية و مقتربة اجتماعية من خلال دفاتر التركات" ،والتي اعتمدنا عليها في جلب العديد من المعلومات التي تخدم موضوعنا.
- ✓ بالإضافة إلى ذلك خدمتنا رسالة ماجستير للباحث سفيان صغيري المعنونة بـ :" العلاقات الجزائرية العثمانية خلال عهد الدايات في الجزائر (1617-1830)".
- ✓ دون أن نهمل المقالات والمجلات أمثال مجلة الدراسات التاريخية والحضارية لمؤيد محمود المشهداني، سلوان رشيد رمضان والتي أفادتنا في بناء وترتيب المعلومات.

-مناهج البحث:

للإجابة عن كل هذه التساؤلات ومحاولة الإلمام بالموضوع تم الاعتماد على:

1- المنهج التاريخي: وهو ضروري لسرد الأحداث وفق التسلسل الزمني يراعي الأمكنة والشخصيات كما كانت في الماضي، حيث استخدمناه لسرد طبيعة العلاقات بين الجزائر والولايات المتحدة الأمريكية الممهدة وصولا إلى وليام شالر إلى الجزائر وظروف التحاقه.

2- المنهج الوصفي: الذي استعمل في العديد من المرات لوصف مدينة الجزائر وما كتب عنها، إضافة إلى وصف واستعراض الفئات الاجتماعية المكونة للمجتمع في المدينة من خلال عاداتهم وتقاليدهم وممارساتهم.

كما اعتمدنا المنهج المقارن وذلك لعرض الآراء المختلفة للمؤرخين والكتاب عند ما كتبه شالر في مذكرته مقارنة بما كتبه آخرون ومحاولة التوفيق بينهما فيما يفيد البحث.

وفي بعض الأحيان لجأنا إلى المنهج الإحصائي الذي عالج جملة من الإحصائيات التي تتمثل في عدد فئة من الإحصائيات التي تتمثل في عدد فئة من الفئات الاجتماعية مثل: عدد الأسرى المتواجدين في الجزائر.

- صعوبات البحث:

لا شك انه خلال خوضنا غمار هذا البحث العلمي والتاريخي قد واجهتنا عدة صعوبات وعراقيل أثناء البحث الذي يتطلب التجند والصبر، لأن البحث العلمي جزء من العذاب يصادفنا من بداية الدارسة إلى نهايتها وبتزايد مطرد خلال مراحل البحث، ولعل أهم هذه الصعوبات نذكر منها:

1- الحجر الصحي بفعل الوباء الكورونا (كوفيد 19): إن انتشار هذا الوباء وتطبيق عملية الحجر الصحي سواء داخل الوطن أو خارجه قد انعكس بالسلب علينا في إعداد هذا البحث بسبب توقف الدراسة وغلاق الجامعات وما صاحبها غلاق المكتبات، وأيضا المكتبات العمومية خارج الجامعة وأيضا المكتبات الخاصة ، نهيك عن صعوبة التواصل مع الأستاذ المشرف و الزميلة بصفة مباشرة .

- صعوبة البحث في المصادر الأجنبية من حيث ترجمتها وصعوبة التعامل معها وهذا يحتاج وقت طويل في ذالك.

- تباين في المادة العلمية التاريخية: نجد في بعض فصول البحث مادة علمية غزيرة حتى تسبب لنا مشكلة تفكيكها وتحليلها وتطويعها في حدود ما تقتضي به الدراسة، لكن هناك العكس في بعض فصول الدراسة أو مباحثها خاصة في الفصل الاخير، لأننا وجدنا أنفسنا مقيدين بمذكرة وليام شالر فقط في حين نجده لم يتحدث كفاية عن كافة الجوانب مقارنة بمصادر أخرى كما اشرنا سالفا.

وحسبنا أن لا تكون هذه الصعوبات قد قللت من القيمة العلمية للبحث، فأملنا في الأخير أننا لا شك قد وفقنا في تناول هذا الموضوع المهم وأجبنا عن إشكالياته الأساسية التي تتمحور حوله.

وفي الختام أتوجه بالشكر الجزيل لكل من قدم لنا يد المساعدة من قريب أو من بعيد، وأخص بالذكر الأستاذ المشرف: "عبد الحليم مرجي" على صبره وتقاسمه معنا أعباء البحث.

ونتمنى أن تكون الدراسة لبنة جديدة في البحث الوطني، بعد مناقشة هذه المذكرة من طرف نخبة المناقشة التي اختيرت من أجل التعقيب والتصويت وإثرائها بآرائهم ومقترحاتهم السديدة والقويمة.

الفصل الأول

نظرة الأجانب إلى مدينة الجزائر

خلال العهد العثماني

"التعريف بشخصية وليام شالر"

- نظرة المؤرخين الأجانب إلى مدينة الجزائر
- شخصية و تعريف

تمهيد:

تعد الحقبة العثمانية في تاريخ العرب الحديث من أكثر الحقب التاريخية إثارة للجدل والنقاش بين الكتاب والمؤرخين حيث اختلفت نظرة الكتاب الأوروبيين للجزائر العثمانية فأغلب هذه الكتابات تستقى نظرتها من مصادرها الغربية المتمثلة في (شهادة الأسرى، تقارير القناصل ومنظمات افتداء الأسرى)، وكنموذج اتخذنا القنصل الأمريكي وليام شالر الذي ترك لنا مذكرات قيمة عن مدينة الجزائر كتبها خلال الفترة التي قضاها في الجزائر والتي حددت بـ عشر سنوات.

1- نظرة الأجانب إلى مدينة الجزائر:

سميت مدينة الجزائر[1] ببني مزغنة وهي من بناء البربر معروفين بهذا الاسم و، هي جمع جزيرة بالعربية وهي مشهورة منذ القدم حيث أبدع الرومان في تزينها وزاد الأتراك إغناء بفضل ما وقع في أيديهم من غنائم،[2] حيث كان الإسبان يسمونها بـ "آلجي"،[3] وتأسست هذه المدينة في النصف الثاني من القرن العاشر من طرف الأمير" زيري بن سلكين" على أنقاض المدينة الرومانية القديمة المسماة "إيكوزيوم" وفي نهاية القرن الرابع عاشر أصبحت المدينة مزدهرة ومستقلة.[4]

وبعد التحاقها بالدولة العثمانية، وتعيين خير الدّين بربروس[5] بايلربايا[6] عليها، أصبحت فيما بعد أوّل إيالة عثمانية في شمال إفريقيا، وبدأت تعبر عن الوجود العثماني في البحر المتوسط وساحل شمال إفريقيا باعتبارها قاعدة الجهاد البحري عند القوى المسيحية

---

[1]- ينظر الى الملحق رقم 1، ص 136.

[2]- مارمول كاربخال، **إفريقيا**، تر: عن الفرنسية محمد حجي وآخرون،ج2، د.ط، دار المعرفة للنشر و التوزيع، الرباط، المغرب، 1988-1989، ص ص 362-363.

[3]- الحسن بن محمد الوزان، **وصف إفريقيا**، تر: محمد حجي ومحمد لخضر، ج2، ط2، د.غ.إ، بيروت، لبنان، 1983، ص37.

[4]- كورين شوفاليه، **الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510-1541**،تر: جمال حمادنة، د.ط، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ب،2007، ص9.

[5]- خير الدين بربروس: كان قائد أساطيل عثمانية ومجاهد بحريا، ولد في جزيرة ليسبوس في اليونان المعاصرة وتوفي في الأستانة إسطنبول، اسمه الأصلي هو خضر بن يعقوب ولقبه خير الدين باشا عرف لدى الأوروبيين بي باربا روسا لان أي ذو اللحية الحمراء، ينظر: سفيان صغيري، **العلاقات الجزائرية العثمانية خلال عهد الدايات في الجزائر (1671-1830م)**، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير فيالتاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والإسلامية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، ص 13.

[6]- بايلربايا: هو أول لقب أطلق على الحاكم العثماني في الجزائر وأول من لقب به هو خير الدين بربروس وتعني الكلمة باي البايات أي أمير الأمراء، ينظر: سفيان صغيري، المرجع السابق، ص 24.

خاصة العثماني بالمنطقة، وبالتالي تعتبر انطلاقة لمرحلة جديدة في تاريخ الجزائر في كافة الميادين السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية والثقافية[1].

وإنه لمن العسير الخوض في تاريخ الجزائر العثمانية ،دون الإطلاع على ما كتبه الأوربيون من رحالة وقناصل وجواسيس ورهبان وسياح وأسرى أجانب عن الجزائر، حيث كانت تشتمل هذه الكتابات الأوروبية وهي مع اختلاف أهدافها وتباين اتجاهاتها وتضارب معلوماتها في بعض الأحيان،حيث كانت تعتبر مصدرا تاريخيا من الدرجة الأولى نظرا للمعلومات التي توفرها للباحث ولتنوع وجهات النظر التي تعبر عنها والظروف التي كتبت فيها، فهي لا تقلّ أهمية عن الكتابات المحلية وحتى السجلات الرسمية، بل تعتبر مصدرا أساسيا لا يمكن أن يستغني عنه أي باحث[2]، في دراسته الاجتماعية والثقافية، إذ تعرفنا على النشاط الاقتصادي والوضع السياسي للفترة الحديثة.

حيث توفرت كل الظروف للأوروبيين التي ساعدتهم وبشكل كبير أن يكتبوا عن الجزائر كثيرا كالظروف التجارية والدبلوماسية الحربية (القرصنة)، ونرى أن أغلب ما كتبوه كان عن مدنها وفي مقدمتها الجزائر العاصمة، على خلاف ما توفر من ظروف للرحالة المسلمين والأفارقة، ومع ذلك فقد ترك هؤلاء الرحالة المسلمون مادة حيوية تضمنت معلومات غزيرة عن الجزائر.

وفي هذا المضمار قد تبين لنا أن لفئة الأسرى المسيحيين دور هام في الحياة الاجتماعية و الاقتصادية والسياسية، وحتى الثقافية الجزائرية في العهد العثماني، وعلى هذا الأساس فإن واقع الجزائر الثقافي التاريخي الحالي هو نتاج (مخزون تراثي مجيد، ساهم في وضعه أكثر من طرف جزائري وغير جزائري)، وبالتالي صورة الجزائر في القرن الثامن

---

[1]– سفيان صغيري، المرجع نفسه، ص 25.

[2]– ج.أو .هابنسترايت، **رحلة العالم الألماني إلى الجزائر وتونس وطرابلس، 1145–1732م**، تر وتق وتع، ناصر الدين سعيدوني ، د.ط، د.غ.إ، تونس، د.ت، ص 9.

عشر، لم تكن واضحة جيدا بفعل أن المصادر العربية والتركية كانت قليلة الأهمية في نظر الأوروبيين، ولكن أغلب ملامح هذه الصورة الكاملة للجزائر رسمها الأوروبيون، سواء رحالة منهم أو قناصل أو أسرى[1].

وفي نفس السياق يتبين لنا أن الفترة العثمانية لم تحضى الدراسة اللائقة بها و الاهتمام أيضا حيث كان الكتاب الفرنسيون يشيدون في تاريخ الجزائر سوى بالعهد الروماني وفترة الاحتلال الفرنسي، وقد ظل الكتاب الجزائريين يعتبرون الفترة العثمانية خاتمة لأبحاثهم المتعلقة بالقرون الوسطى أو تمهيدا لدراستهم المتصلة لفترة الاحتلال متجاهلين عن قصد أو غير قصد فترة ما قبل الاحتلال التي عرفت أبنائها الجزائر مقومات الأمة وكيان الدولة، و إنطلاقا من ذلك راح بعض الكتاب يقومونها حسب ما استخلصوه من دراسات الأوروبيين وآرائهم حول هذه الفترة دون أن يكلفوا أنفسهم مشقة البحث والرجوع إلى المصادر الأساسية وللوثائق الأصلية.

والجدير بالذكر أن أغلب الدراسات التاريخية المتعلقة بتاريخ الجزائر والتي كتبها كتاب فرنسيين، تعتبر دراسات مغرضة، فهي تهدف وبشكل كبير إلى خدمة الاحتلال الفرنسي[2]، أما الكتابات الغربية فقد شكلت منذ منتصف القرن الثامن عشر (18)، المرجع الأساسي للفترة العثمانية من تاريخ المغرب العربي، فنجد كتاب غرامون (H de Grammont) الذي اعتمد على هذه الكتابات التاريخية منذ صدوره عام 1887م والذي رسم ملامح الفترة العثمانية ببلاد المغرب العربي، وبالتالي تحددت الصورة النمطية حسب النظرة الأوروبية وغدا الوجود العثماني في الحقيقة هيمنة و إستعمارا وتأخرا وجمودا، في حين اعتبر الجهاد البحري قرصنة و إعتداءا، بينما أصبح تصدي الحكام لمخططات الهيمنة

[1]– عميراوي أحميدة، **الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني**، مذكرات تيدنا نموذجا، د.ط، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، د.ت، ص ص 4–9.

[2]– ناصر الدين سعيدوني، **ورقات جزائرية**، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط 2، دار البصائر للنشر والتوزيع، حسين داي، الجزائر، 2009، ص ص، 29–35.

الخارجية موقفا عدائيا غير مبرر، والجهاز الإداري هو مجرد آلة مسخرة لممارسة الظلم وتكريس الاستعباد، فيما غدت العادات والتقاليد مظهرا للتأخر والإنغلاق. كانت تلك التصور الأوروبي مما يفسر ذلك الموقف العدائي.

فمن خلال هؤلاء الرحالة والأسرى والقناصل فنجد الألمان و الإسكندنافيين و الهولنديين والروس وإلى حدّ ما الإنجليز والأمريكان ، كانت كتاباتهم أقرب إلى الاتزان وإلى الموضوعية مقارنة مع نظرائهم من الفرنسيين و الإسبان والايطاليين...الخ[1]، وكان من بينهم رحلة الطبيب وعالم النبات الألماني ج. أو.هابنسترايت (J.E.Hebenstreit)،[2] الذي قدم صورة واضحة لأقطار المغرب العربي عامة والجزائر على وجه الخصوص، في النصف الأول من القرن الثامن عشر، فرغما اختصارها وقصر الفترة الزمنية التي استغرقتها، وهي حوالي عشرة أشهر، غير أن غنى معلوماتها ودقة ملاحظتها تؤكد لنا قيمتها التاريخية وتجعلها لدى الباحثين من المصادر المهمة التي تعرف بأوضاع أقطار المغرب العربي في النصف الأول من القرن الثامن عشر حيث تلقى الضوء على فترة مهمة في التاريخ وهي الربع الأول من القرن الثامن عشر حين صبحت فيه ولاية الجزائر إيالة عثمانية.

وكذلك تعرفنا وتستعرض لنا تطور الحكم بالجزائر بعد أن ألغي المنصب الشرفي للباشا الممثل الشخصي للسلطان لفائدة الداي، حيث أصبح حكام الجزائر المعروفون بالدايات الباشوات مستقلين فعليا عن الدولة العثمانية منذ 1717م، كما تضمنت معلومات معتبرة عن علاقة الحكام بطوائف السكان بالمدن والمجموعات القبلية في الريف[3].

---

[1]- ج.أوهابنتسرايت ،المصدر السابق، ص ص 10-11.

[2]- ج.أو.هابنسترايت(J.E.Hebenstreit): هو من أهالي مدينة "نوشتادت اون اورلا" الواقعة بمقاطعة الساكس بألمانيا، درس الطب بشبابه بجامعة بينا كلف برئاسة بعثة علمية الى شمال افريقيا للتعرف عن كثب على النباتات وحيوانات تلك المنطقة وقد نجح الى حد كبير في القيام بمهمته، ينظر: ج.أو.هابنسترايت، المصدر نفسه، ص ص 13-14.

[3]- المصدر نفسه، ص ص 12-17.

ومن خلال رحلته أيضا أعطى وصفا كاملا عن مملكة الجزائر، بأنها عاصمة المملكة التي تحمل اسمها والتي عرفت في الماضي باسم موريطانيا القيصرية، وهذه البلاد "مملكة الجزائر" التي كانت تعرف عادة لدى الكتاب الأوروبيين ببرباريا(BARBARIE) أو البلاد المتوحشة وشرسين، إلا أنه منافيا لحقيقة لأن لفظ "المتبربرين" أو "البرابرة"الذي كان يراد به سكان الصحراء أو أنه مقتبس من الإغريق أو الرومان الذين كانوا يطلقون على كل الشعوب التي لا تتكلم لغتهم هذه التسمية[1]،إضافة إلى ذلك نرى بأن الرحلات لها دوافعها مختلفة مثلما تختلف نظرة أصحابها فمثلا:نجد هناك الرحلات التي كان لها دافع من أجل دراسة منطقة جغرافية معينة، ونذكر على سبيل المثال: "رحلة في ربوع الأوراس" لمؤلفها "هيلتون سيمسون" الذي زار الجزائر ثلاث مرات إبتداءً من عام 1919-1920م، وكان هدفه دراسة منطقة الشاوية من خلال تحليل أوضاع لهذه الناحية من حيث جغرافيتها وتضاريسها إضافة الى شؤونها الاجتماعية والدينية وإلى التعليم وأثر الإسلام في نفوس السكان إلى غير ذلك...[2].

ومن بين الرحالة كذلك نجد .ج.سيقوين الذي كان يلوم أحد الرحالة الإنجليز الذين سبقوه إلى زيارة الجزائر على عدم إهتمامهم الكافي بالعاصمة، باستثناء اثنين، أحدهما انجليزي والآخر فرنسي اللّذين أعطيا لها صورة مقبولة لكنها لم ترضه، لذلك فقرر أن يكرس رحلته للحديث عن العاصمة وما حولها بتفصيل كبير، حيث لم يكن يقصد الضواحي فحسب ولكن يقصد مدنا قريبة منها، وكان يبدأ بالحديث عن طقس العاصمة، إلى جانب أنه كان ينشر خريطة جغرافية للمباني الرئيسية فيها وبالأخص الرسمية منها، ويقارن بين هذا الطقس وبينه في أوروبا. والمعروف عن الإنجليز بشكل عام أنهم يهتمون جدا بالطقس، أما رحلة الدكتور: (بوديشون) ورحلة الدكتور (يوزان) وغيرهم ممن سحرهم طقس الجزائر وهو ما يؤكد

[1]- ج.أوهابنتسرايت ، المصدر السابق، ص ص 24-25.

[2]- ركيبي عبد الله، **الجزائر في عيون الرحالة الإنجليز**، ج1، د.ط، د.د.ن، د.ب، د.ت، ص 17.

أن الإنجليز كان لهم حضور سابق حتى على الاحتلال الفرنسي لبلادنا، ويبدو أن إقبال الانجليز على الجزائر يعود إلى الروح الاجتماعية لدى سكان العاصمة خاصة والسكان الأهالي بوجه عام[1]، حين كانت الرحلات الاستطلاعية الأوربية إلى الجزائر منذ بداية الوجود العثماني فيها ونذكر على سبيل المثال:نيكولاي (NIKOLAY) الذي زار الجزائر في عام 1551م وهو من الجغرافيين الذي قدم وصفا لمدينة الجزائر، وبجاية، وعنابة وهو في طريقه إلى إسطنبول، كما نذكر من بين الرحالة الدكتور (شو) (SHOW) الإنجليزي الذي كان كاهنا بالوكالة الإنجليزية في الجزائر من عام 1720م إلى 1732م، وهو من الدارسين والباحثين والرحالة الذين حاولوا التحدث عن بلاد الجزائر خلال النصف الأول من القرن 18م، حيث رسم خريطة وضع عليها معالم جغرافية، وحدد حدود الإيالة، وخاصة حدود البايلك للشرق الجزائري.

وبتكليف من أكاديمية العلوم زار جان أندري بايسونال(PAYSSONNEL) الشرق الجزائري خلال عامي (1724-1725) وقدم عملا هاما عن الجزائر تضمن معلومات جغرافية وطبيعية و إجتماعية قيمة، إضافة إلى (بريس) الذي تولى مهام قنصل لتمثيل بلده في الجزائر سنة 1768[2]فقد قدم رواية تبدو قليلة الأهمية بالنسبة إلى تاريخ الجزائر العثمانية، مع العلم أنها تبقى مصدرا هاما في خدمة هذا التاريخ، كما نجد أعمال (فانتير ديبارادي) بالنسبة لتاريخ الجزائر العثمانية هي ذات قيمة عالية، وقد نشرت في المجلة الإفريقية.

حيث قدم عملا بعنوان NOES SUR ALGER تضمن معلومات قيمة عن هذا البلد، من بينها ما يتعلق بالجزائر العاصمة التي قال عنها أن بها 16000 بستان، و بها 50000 مسكن، وقدر عدد سكانها ما بين 25 ألف إلى 30 ألف نسمة، وقال إن العدد قد

[1]- ركيبي عبد الله، المرجع السابق، ص ص 118-119.

[2]- عميراوي احميدة، المرجع السابق، ص ص 9-10.

يصل إلى 50 ألف ساكن، لكن هايدو[1] قد عرض معلومات مثيرة للانتباه ومن بينها هروب الأتراك عثمانيين من الجزائر إلى إيطاليا واسبانيا، مرفقين بمسيحيين بحيث هرب 25 مسيحي يوم 16 جويلية 1579م، وكان الرحالة الآخرون علميين طبيعيين متخصصين في النبات ومن بينهم ديفونشين الذي تجول في بلاد الجزائر ما بين سنتي 1783 و1784م حيث زار كل من الجزائر ومعسكر وتلمسان وترك لنا رواية عن سفره إلى هذه المناطق[2]، ويعتبر عمله وثيقة هامة لمعرفة أنواع النباتات والمناجم في الغرب الجزائري، فهي ذات أهمية كبيرة، ومن غير المستبعد أن تكون سلطة الاحتلال الفرنسي قد استفادت من هذه المعلومات ووظفتها في استغلالها للموارد الطبيعية في الجزائر.

من خلال هذه الرحلات والدراسات عرفنا سر إهتمام الأوروبيين بالجزائر، فالألمان مثلا ترجموا بدورهم كتبا منها كتاب الرحالة الإنجليزي، "توماس شو"، تحت عنوان "رحلة في ولاية الجزائر"، بل ألفوا كتبا كثيرة عرفتنا أشياء هامة عن المجتمع الجزائري آنذاك، وعن عدد السكان وعدد الاسرى، وعدد اللغات السائدة آنذاك في الجزائر العاصمة ألا وهي التركية والاسبانية والفرنسية والإيطالية والانجليزية والهولندية.

واهتم من جهته الألماني سيمون بفايفر الذي أسره رجال الإنكشارية في اليونان ونقلوه إلى أزمير، ثم نقل إلى الجزائر برفقته عدد من العبيد عام 1825م على متن سفينة شراعية حربية جزائرية يقودها انجليزي اعتنق الإسلام يسمى عمر، وبعد 25 يوم من مدة الرحلة وجد نفسه في الجزائر، وقد اشتغل سنتين في مطبخه، ثم أصبح طبيبه الخاص، لذلك أتاح له هذا المركز الجديد أن يطلع على كل ما يجري في المدينة ونواحيها وذلك بفضل علاقاته المباشرة بعدد من الشخصيات من داخل القصر وخارجه، لذلك جاء كتابه حافلا بالوقائع

[1]– هايدو: اسير بالجزائر وصل سنة 1876، حفيظة خمشون، **مهام مفتدي الاسرى و التزاماتهم الاجتماعية في مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير في التاريخ الاجتماعي لدول المغرب العربي، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر ، 2006–2007، ص45.

[2]– عميراوي احميدة، المرجع السابق، ص ص 12–14.

والأحداث التاريخية[1]، حيث أن هذه الأحداث والوقائع التي يرويها بفايفر في كتابه غزيرة ومتنوعة، عاش بعضها بنفسه وشاهدها فمن بين ما تحدث عنه الأحداث التي وقعت في شرق الجزائر، وحاول أن يكشف الأسباب التي أدت إلى حدوثها، ويبين في نفس الوقت علاقة الجزائر بالسلطة العثمانية وعلاقتها بالحكومة المصرية، كما يتحدث عن استعدادات الجزائر للحرب بعد أن وصلتها أخبار الحملة التي تعتزم فرنسا القيام بها ضدها، وعن تقرب الداي من الشعب من أجل الوقوف إلى جانبه لمحاربة الأعداء.كما قدم وصفا شاملا لمدينة الجزائر من حيث موقعها المبهر[2]، نفس الشيء تقريبا حدث مع مواطنه الألماني فندلين شلوصر الذي ارتحل إلى البرازيل للبحث عن العمل في المناجم لكنه عاد إلى ألمانيا، ومنها توجه إلى فرنسا ثم إلى الجزائر[3].

حيث عاش فيها كواحد من أهاليها، لذلك قدم صورة أمينة عن حياة سكانها وعن أخلاقهم، وعاداتهم وتقاليدهم، كما تحدث عن عدّة شخصيات جزائرية، لعبت دورا تاريخيا مهما حيث تحدث عن حياة (ابن زعمون، وعلي بن عيسى، وأحمد باي وأحمد بومرزاق) وصفهم وصفا مجسما، كما أنه تحدث عن الحياة الشعبية بأفراحها وأحزانها في المدينة والريف وصورها تصويرا رائعا[4]، أما مواطنه الألماني فيلهم شيمبر،الذي زار مثله الجزائر عام 1831م وبقي فيها 10 أشهر، حيث ألف كتابا عنها، تحدث فيه عن مدينة الجزائر، وعن نسائها، وعدد سكانها وعن تجارتها.

---

[1]- عميراوي احميدة، المرجع السابق، ص ص 15-16.

[2]- سيمون بفايفر، **مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر**، تق وتعب، أبو العيد دودو، د.ط، ش.و.ن.ت، شارع زيغود يوسف، الجزائر، 1974، ص ص 1-9.

[3]- عميراوي احميدة، المرجع السابق، ص 17.

[4]- فندلين شلوصر، **قسنطينة أيام أحمد باي 1832-1837م**، تر و تق، أبو العيد دودو ، د.ط، عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007، ص7.

حيث كان يرى أنها قد دعت هكذا بسبب الفيضانات التي تغمر سهل متيجة في الشتاء وتحيله إلى بحيرة كبيرة، إلا أنه قدر عدد بنايتها بخمسة عشر ألف وسكانها بمائة ألف نسمة، في حين ذكر اللغات المستعملة بها وهي العربية والاسبانية والفرنسية والإيطالية والألمانية والانجليزية وغيرها...مما لم يعرف له أصلا ولا نسبا.

كما تطرق إلى الحديث عن التربية والتعليم، وكثرة المدارس التي كان يتنقل إليها الأطفال في سن السادسة من العمر، أين كانوا يتعلمون القراءة والكتابة، ثم يواصلون تعليمهم عند العلماء والفقهاء ويسافر الكثير منهم فيما بعد إلى تونس والإسكندرية والقاهرة...الخ. في حين يذهب البعض منهم إلى (ليفورنو) لدراسة الطب واكتساب المعارف الأوروبية في مختلف الميادين[1].

ومن بين الرحالة الألمان هناك ضابطا محاربا متطوعا في جيش الاحتلال الفرنسي للجزائر، "الأمير شفارتسبيرغ" الذي ألّف ونشر عن الجزائر عام 1837م، وهذا ما يبرز لنا اهتمام الألمان بالكتابة عن الجزائر بشكل كبير جدا، ليس حبا فيها، وإنما لتشجيع الهجرة الألمانية قصد استثمارها وقد يكون لفرنسا منافسا في بغض المواطن الإفريقية.

بالإضافة إلى مادونه أوروبي آخر وهو" فرانسوا فيليب دولاماي" ضابط محترف في الجيش الفرنسي، وقع في الأسر عام 1799م، لكن أسره لم يمنعه من الاهتمام بالحياة اليومية للسكان في الجزائر العاصمة، والتجسس عليها ورصد قدراتهم الدفاعية، إذ تبين له ضعف المدينة عسكريا لذلك دعا إلى احتلالها لأن الأمر حسب رأيه لا يتطلب إلا قوة ما بين 30 إلى 40 ألف محارب يتم بها احتلال المدينة في 48 ساعة، ومثلما تحدث دولاماي عن وضع سكان المدينة، وقدم لنا جملة من المعلومات من بينها ما قاله عن اليهود بأن الأغنياء منهم لم يكونوا أكثر من ستة عائلات، كما قال أن عدد الأسرى هو دائما في

[1]- أبو العيد دودو، **الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان1830-1855م** ، ش.و.ن.ت، شارع زيغود يوسف، الجزائر، 1975، ص 13.

تناقص بفعل الموت[1]، وخلال الفترة الممتدة من عام 1818م إلى 1820م زار كل من هورنمان وباكو منطقة الشرق الجزائري، وتركا لنا معلومات هامة عن الحياة السياسية المحلية، كما زار المؤرخ الإسباني "مارمول" الجزائر، ومكث في مدينة وهران عام 1788م أيام الاحتلال الاسباني لها وهو قنصل ألماني، حيث خصص جزءا من مذكراته للحديث عن الإدارة التركية وعن الحياة الاجتماعية بالجزائر، بالإضافة إلى "دومان" الذي عاش مدة 34 سنة كعبد في بلد الجزائر حيث عمل في روايته على تشويه بصورة خاصة كل الكلمات العربية والتركية. حيث قدم وصفا للعذاب المرهب الذي يتحمله الذي يتحمله العبيد في الجزائر، من دون شك أنه كان يريد إثارة شفقة الفرنسيين عليه لاقتداء الأسرى وإعادتهم إلى أوروبا[2].

ولم يكن الأوروبيون وحدهم الذين اهتموا بالجزائر بل كان الأمريكيون أيضا مثل موقع كاثكارت وهو أمريكي أسيرا بعد الاستيلاء على أول سفينة أمريكية "ماريا بوسطن" في جويلية 1785م وقد عمل واسطة بين داي الجزائر وسفراء الدول الأوروبية والذي تولى المفاوضات مع الداي في مختلف مراحلها لعقد المعاهدة الأولى، وقد استخلص منه فرضيات معتبرة مستغلا في ذلك معرفته بنفسية الداي وبهيكل العلاقات الخارجية الجزائرية بصفة عامة[3]، حيث ترك وثيقة تمتاز عن غيرها من الكتب والدراسات التي تعتبر أنها يوميات تعكس انطباعات حية وأحداثا وقعت في الربع الأخير من القرن الثامن عشر، سجلها بساعة

[1]- عميراوي أحميدة، المرجع السابق، ص ص 20-23.

[2]- المرجع نفسه، ص ص28-30.

[3]- المرجع نفسه، ص 26.

وقوعها[1]، وكذلك نجد من بين الأسرى الأمريكان فنجد الأسير المشهور (James Ricley) إضافة إلى قصة السيدة (Marin maria) التي كانت أسيرة في الجزائر مدّة ست سنوات[2].

وفي حديثنا عن القناصل فقد عينت الولايات المتحدة الأمريكية قنصلا على الجزائر ومن بينهم القنصل الامريكي وليام شالر[3] (1816-1824م) الذي ترك لنا مادة تاريخية هامة القيمة عن الجزائر وعن حملة اكسموث البحرية ضد الجزائر عام 1816م[4]، تخبرنا على حال الأسرى كذلك يوجد نساء وقعت أسيرات في الجزائر كما جاء في دراسة ابو العيد دودو أن امرأة سويدية عاشت في الجزائر مكرمة، انتقلت إلى إسطنبول قبل الاحتلال (الفرنسي) بمدة قليلة.

وقد أفادنا ميشال "دي غراس" في روايته ليلة القصر بمعلومات قيمة على لسان فتاة من جزيرة تابعة للنفوذ الفرنسي وقعت في قبضة القرصنة الجزائرية فأهداها داي الجزائر إلى السلطان العثماني في إسطنبول، حيث حكت حياة الأسر في قصص مستوحاة وفي غاية الدقة والغرابة، فمن خلال هذه الرحلات والمذكرات يتبين لنا أهمية الجزائر في ذاتها في نظر الأجانب لذلك كانت تتعرض باستمرار إلى هجمات بحرية من دول أوروبية مختلفة[5]، وذلك نظرا لأهميتها لدى الأجانب حيث قدموا أوصافا كثيرة لمملكة الجزائر حيث يشتق اسم هذا البلد من محاضرته وينقسم حاليا إلى ثلاث مقاطعات أو دوائر أي الشرقية والغربية والجنوبية[6].

---

[1]- كاثكارت، **مذكرات أسير الداي قنصل أمريكا في المغرب**، تر وتع إسماعيل العربي، د.ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص ص 4-6.

[2]- جيمس ويلسن ستيفن، **الأسرى الامريكان في الجزائر، 1785-1797م**، تر:علي تابليت، د.ط، منشورات ثالة، الأبيار، الجزائر، 2007، ص ص 3-4.

[3]- ينظر الملحق رقم ،2، ص، 137.

[4]- عميراوي أحميدة، المرجع السابق، ص 25.

[5]- المرجع نفسه ، ص ص 29-30.

[6]- جيمس ويلسن ستيفن، المرجع السابق، ص ص 141-142.

أما شالر فقد أعطى وصفا عن حدود وامتداد مملكة الجزائر بشكل دقيق ومفصل، وهي تحد القسم الذي يسمى باسم عاصمته من بلاد البربر، مملكة الجزائر من الغرب، ومن الشرق الأراضي التونسي، ومن الغرب المغرب الأقصى مراكش سابقا، ومن الشمال البحر الأبيض المتوسط، حيث تبلغ مساحة مملكة الجزائر حوالي 30 ألف ميل مربع، والبلاد الجبلية حيث تخترقها سلسلة جبال الأطلس التي تمتد من الغرب إلى الشرق، والتي تشكل ألوانا مختلفة من التشكيلات الجبلية والأودية، والأهالي يؤكدون أن جميع هذه الجبال تعلوها الغابات، وأن قممها مأهولة بالسكان من القبائل[1]. وقال "على الرغم من الطابع المادي الغريب لهذا البلد الذي يكثر فيه السهول و المرتفعات يجب أن يتجاوز معظم الآخرين في التنوع و التميز من منتجاتها النباتية اذا كان يسكنها شعب متحضر و كادح"،ووصف الجزائر بصفة خيالية اذ جعل كتابه يقرا على انه أدب استعماري ترويجي من النوع الذي خدم المستوطنون الأمريكيون الأوائل في التحريض عليه للهجرة الى الولايات المتحدة[2]

أما فيما يخص موسم الأمطار في المملكة يمتد من شهر نوفمبر حتى شهر أفريل، وتكون أمطار غزيرة في شهري نوفمبر وديسمبر، أما في شهري جانفي و فيفري يكون الطقس جميلا في معظم الوقت، كما ان التربة في هذه المنطقة لم تتدهور ولم تنخفض قيمتها عما كانت عليه في العصور القديمة حين اشتهرت بالخصب، وهي في بعض الجهات سوداء وفي جهات أخرى حمراء، ولكنها في جميع الحالات خصباء فهي مشرية بالبشرات. كما أشار إلى قمح الجزائر من النوع الصلب، وأن الدقيق الذي يطحن منه يشبه الرمل في مظهره فهو القمح المشهور في الأسواق الإيطالية.

---

[1]– وليام شالر، **مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر**، 1816–1824م، تعب وتع وتق، إسماعيل العربي، د.ط، ش.و.ن.ش، الجزائر، 1982، ص 28.

[2] –akli mohand rezzik, **domestic and foreign issues in American Barbary** captivity narratives, a thesis submitted for the degree of doctorate in English, faculty of letters and languages, department of English, university, mouloud mammeri of tizi–ouzou, Algeria, p 184.

وأن غابات النخيل كثيرة في البلد والتمور التي تنتج في المناطق المجاورة للصحراء لذيذة للغاية، كذلك توجد في الملكة جميع الفواكه وتنتج بوفرة حيث أن في المملكة تحتوي على ينابيع وجداول وفيرة للمياه الغزيرة، ولا تمتلك أنهار ذات أهمية على غرار نهر الشلف وهو أعظم أنهار البلد.

حسب بفايفر هي مدينة تقع فوق جبل، وتمتد من منحدرات إلى ميناء، بحيث أن المياه تلمس الصفوف السفلى من المنازل، أما المساجد وقصر الداي[1] السابق، ومجموعة من المنازل الخاصة عن بقية البنايات الأخرى، وتوجد أمام المدينة قلاع وحاميات رهينة تحيط بالميناء كله، حيث يمتاز موقع الجزائر بتنوع منظره[2]، وتشكل صورة جميلة للغاية عند رؤيتها من البحر ولديها العديد من البساتين المغطاة بأشجار البرتقال والزيتون المنتشرة حول المدينة وتبدو الأماكن المرصعة بالنجوم مرتبطة بالمنازل.[3]

وبفضل هذا الموقع الاستراتيجي المهم والمتميز المطل على البحر الأبيض المتوسط من جهة الشمال، وتضرب في أعماق الصحراء الكبرى وتحاذي من جهتها الجنوبية عالما آخرا من الأمم الإفريقية، وتحتضنها من جهتي الشرق والغرب الدول المغاربية مما يجعلها همزة وصل بين القارتين الإفريقية والأوروبية وقلب المغرب الكبير، وان تكون معبرا رئيسيا نحو كل الاتجاهات، وهذا الموقع ساعد الجزائر على ان تكون عبر العصور محورا تتقاطع فيه الحضارات المتنوعة، مما يفسر التنوع البشري، فيحين يعتبر موقعها سببا في عدم

[1]–الداي: هو المسؤول الأول على الجهاز الإداري في الحكم لإيالة الجزائر ويعتبر الممثل الشرعي للسلطان العثماني.
ينظر:خير الدين بربروس، **مذكرات خير الدين بربروس**، تر، محمد دراج، ط1، شركة الأصالة للنشر و التوزيع، الجزائر العاصمة، ص 13.

[2]– سيمون بفايفر، المصدر السابق، ص 14.

[3] –Pananti, **relation d'un séjour à Alger**, contenant des observations sur l'état actuelle de cette régence, trad، de l'anglais, paris, 1830, p122.

استقرارها، لعلها من بين الدول التي عانت العديد من الاضطرابات الداخلية والخارجية خلال الفترة الحديثة[1].

المبحث الثاني: التعريف بوليام شالر.

سعت العديد من الدول الأوروبية الى تعيين قناصل لها بالجزائر، حيث ان طبيعة العلاقات مع هذه الدول، هي التي دفعت بقادتها اختيار و تعيين قناصل تراهم الانسب لتمثيل بلادهم ، ومن بين هذه العلاقات نخص بالذكر العلاقات الجزائرية الامريكية التي ادت الى تعيين و اختيار وليام شالر قنصلا على الجزائر سنة 1815 .

1- مولده وطفولته:

ولد وليام شالر سنة1773 م بولاية كونتكيت، إبن thimothy shaler و sibbel warner shaler، له أخت وأخوين، اتسمت طفولته بحزن شديد بسبب وفاة أمه وهو في الثامنة من عمره، وكذلك وفاة والده الذي شارك في الثورة الأمريكية عام 1786م عند بلوغه سن الثالثة عشر[2]، و بعد أن تيتم هو وإخوته استولى عمه على جميع ممتلكات الأسرة الكبيرة وترك الأطفال مفلسين، كان على شالر في هذا السن ان يتمهن لكسب قوته، وبعد فترة قصيرة من العمل عين كموظف في مكتب الأعمال التابع لشركة نيويورك التجارية بأنغراهام[3]، التي استولى عليها عمه، وبدأ الإبحار بين نيويورك و فرنسا، بحيث كانت هذه السنوات قاسية جدا في حياته حيث تعلم اللغة الفرنسية للضرورة وأصبح متمكننا فيها وعشق

---

[1]- أرزقي شويتام، **المجتمع الجزائري وفعاليته في العهد العثماني، 1519-1830م**، رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2005-2006، ص 10.

[2]- علي تابليت، **العلاقات الجزائرية الامريكية 1776-1830**، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2006-2007، ص 409.

[3]-Alf Andrew heggoy and others,**throught foreign eyes western attitudes towards north Africa**, university of america, 1982، p8.

قراءة الأدب الفرنسي رغم شعوره الوطني الفياض، حيث عاش حياة إنسان متحضر من الأحقاد واعتبر العالم كله وطنا له[1]، وتعلم أيضا مهارات المحاسبة وعمل كضابط تجاري للشركة التجارية،[2] ونصب نفسه كوريث حقيقي لحركة التنوير الفلسفية في القرن 18 واعتبر نجاح الثورتين الأمريكية والفرنسية عاملين مساعدين لجعله يتفاءل ويؤمن بقوة وفعالية العقل الإنساني،[3] ومن ثمة يتضح بأن لشالر خاصيتين الأولى هي حب الاطلاع والترحال بشكل واسع والثانية هي إيمانه العميق بأن له مهمة وهي نشر تعاليم الديمقراطية الأمريكية يجسدان المثل العليا للعقل البشري.[4]

1- أعماله ووظائفه:

يعتبر وليام شالر شخصية غامضة في سجلات السياسة الخارجية الأمريكية المبكرة حيث قام بمهام دبلوماسية إلى الجزائر وكوبا والمكسيك لإدارة جيمس ماديسون وأندروجاكسون[5]، ومثل الولايات المتحدة الأمريكية سواء بشكل رسمي أو غير رسمي في جزر الهند الغربية وأمريكا الجنوبية والوسطى والمكسيك والمحيط الهادي وأوروبا وإفريقيا، كما مارست التجارة العالمية بين 1797-1815 مما سمح له بزيارة أوروبا عدة مرات وأمريكا الجنوبية وروسيا وأجبر على العيش لفترة في جزيرة المحيط الهندي أين أسرت إحدى سفنه من طرف القراصنة المحليين كما أنه أوكلت له مهام دبلوماسية في مناسبات عديدة ومنها على سبيل المثال "عين عضوا في الوفد الأمريكي المفاوض مع بريطانيا التي تم التوقيع

[1]-علي تابليت، المرجع السابق، ص 409.

[2] -Alf Andrew heggoy and others, **ibid** , p8.

[3]-علي تابليت، المرجع السابق، ص 409.

[4]- المرجع نفسه، ص 410.

[5] -william and mary quarter, **the political essays of William shaler**, j.c.A.stagg, volume LVIV, number2, p1

عليها يوم 24 ديسمبر 1814 أي قبل تعيينه قنصلا عاما في الجزائر"[1]، وفي هذا المضمار قد قدم شالر القليل لقضية السلم بين بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية، حيث كان يأمل أن يعينه الرئيس في منصب بأمريكا الشمالية حيث بإمكانه أن يخدم قضية الحرية لكن ذلك لم يتم[2].

ثم عين شالر قنصلا عاما بالجزائر وذلك في 12 ماي 1815 وبقي في الجزائر الى غاية 1817 ثم غاب في 1819، وغاب مرة أخرى في زيارة له الى أمريكا بين 1821-1822، ولم يحضر لحادثة المروحة التي كانت سنة 1827 لأنه أصيب بمرض خطير نقل على إثره إلى الحمامات المعدنية بإسبانيا، وقد ارتقى الى دوائر قرية من مراكز السلطة لكنه لم يكن ضمن الجماعة الموجهة والمنفذة ولقد ذكر احد المفاوضين البريطانيين في احد مذكراته عن شالر بأنه حماقة شالر وغروره يبين انه لم يكن مؤهلا بشكل كاف لهذه المهمة أي ان يكون ضمن وفد clay وقال أيضا بأنه أساء إليها أكثر من انه أفادها، تألم شالر من هذه التهمة وكذب ذلك وقال بأنه لم تكن لديه معلومات عن سير تلك المفاوضات والتي كانت في نوفمبر 1814 وبالرغم من انه كلف بالمشاركة فيها.[3]

وقد أخبره أحد زملائه من الوفد الأمريكي المفاوض بان احد المفاوضين صوتوا على سرية المفاوضات، بعد سماعه لكل هذا استقال شالر في 02 ديسمبر 1814 وسافر فورا الى باريس ومنها إلى الولايات المتحدة الأمريكية وقد قيل بأنه مشاكله ناجمة أساسا عن الصعوبات التي اعترضت له من اللجنة وليس من أي خطأ ينسب إليه[4].

[1]- علي تابليت، المرجع السابق، ص 410.

[2]-المرجع نفسه، ص411

[3]- علي تابليت، المرجع السابق، ص 410.

[4] - المرجع نفسه، ص 411.

1-العلاقات الجزائرية الأمريكية :

لقد كانت العلاقات بين الجزائر والولايات المتحدة الأمريكية قد مرت بعدة مراحل: فأولها كانت من الثورة الأمريكية سنة 1775 إلى إعلان الجزائر الحرب على أمريكا سنة 1785، والثانية من 1785 إلى معاهدة الصلح الأولى بين البلدين وذلك سنة 1795، ومن 1795 إلى مفاوضات الصلح الثانية سنة 1815، وأخيرا من 1815 إلى الاحتلال الفرنسي للجزائر أي 1830[1].

وبموجب هذه المعاهدات تعهدت الولايات المتحدة الأمريكية بأن تدفع ضريبة سنويا للجزائر مقدارها 12000 سيكوين[2]، وكذلك اضطرت الولايات المتحدة الأمريكية ظروف قاهرة لأن تدفع ضرائب للجزائر، وعقب ذلك حينما اتسعت التجارة الأمريكية وازدهرت زادت مطالب الجزائر وتنوعت، في الوقت الذي كانت فيه الولايات المتحدة الأمريكية تبدي استعدادا للاستجابة اليها لكي تتجنب انقطاع العلاقات الذي كان سيؤدي إلى وقوع خسائر فادحة في تجارتها وفقدانها لسمعتها السياسية[3].

استمرت العلاقات الجزائرية الأمريكية على أساس معاهدة السلم والصداقة المذكورة بين رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ومواطنيها وبين داي الجزائر وديوانه وأن سفن ورعايا سيتعاملون بكل شرف واحترام، فإن هذه المرحلة من العلاقات الجزائرية الامريكية قد تميزت بخاصية تأخر أمريكا وتماطلها في تطبيق شروط المعاهدة ففي الخامس من ماي 1796

---

[1]-أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج 1، د ط، عالم المعرفة، الجزائر، د ت ، ص 283.

[2]- سيكوين:sequin: عملة من الذهب ذات قيمة فير ثابتة كانت تستعمل في الجزائر وفي الدويلات الإيطالية وفي تركيا ويبدو من ترجمة "شالر لقيمتها أنها كانت في ذلك الحين تساوي في الجزائر دولارين بالدولار الاسباني للقطعة، ينظر: وليام وليام شالر، المصدر السابق، ص 130.

[3]- المصدر نفسه، ص 131.

بعث داي الجزائر حسن باشا رسالة إلى جورج واشنطن ينبهه فيها عن هذا التأخير وطلب منه الإسراع في تطبيق المعاهدة محافظة على السلام بين البلدين[1]، وفي 17 يونيو 1812 وصلت سفينة أمريكية تسمى "الغاني" إلى ميناء الجزائر تحمل على متنها مقابل الضرائب السنوية المستحقة للجزائر من الذخيرة والعتاد البحري، فقد استقلت السفينة بمظاهر تدل على الرضا، وبدأت عمليات تفريغ شحنتها، وبعث الداي بمن يحمل اليه جميع فواتير المشحونات، ولما اطلع عليها أبدى كثيرا من السخط والغضب، لأنه لم يجلب كميات البارود والكابلات التي طلبها كاملة، وهذا ما أثار غضبه وأمر قنصل الولايات المتحدة الأمريكية بأن تدفع المبلغ المستحق للإيالة بالمال العين[2].

وأعطى أوامر بإلقاء القبض على السفن التجارية، وأسرت حينها ثلاث سفن بعدها استطاع القنصل العام طوبياس لير[3] أن ينجح في تهدئة غضب الداي لكن الا بعد دفعه له ثمانية عشر ألف دولار لإطلاق سراح تسعة أسرى ورغم ذلك فغنه تعرض لإذلال كبير، بعدها وصلت سفينة أمريكية إلى الجزائر محملة بجزية في شكل عتاد بحري لكن الداي لم يرضى بنوع الحمولة التي بدأت السفينة تفرغها عندها أمر بإعادة شحنها وطلب من لير أن يدفع المبلغ وأمره هو وجميع الأمريكيين المقيمين في الجزائر بمغادرتها خلال فترة المهلة ولم يستطع لير آن يحصل على تنازل من الداي سوى تمديد المدة إلى خمسة أيام ودفع المبلغ خلال المدة المحددة[4].

[1]– أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص ص 291–292.

[2]–وليام شالر، المصدر السابق، ص 142.

[3]– طوبياس لير :tobiaslear، سكرتير الرئيس جورج واشنطن و قنصل الولايات المتحدة الامريكية بالجزائر من 1803 الى1812، ينظر، علي تابليت، المرجع السابق، ص548.

[4]– المرجع نفسه، ص 396.

وفي يوم 23 فيفري 1815 أعلن ماديسون الحرب ضد الجزائر بعد أشهر قليلة من معاهدة لتحرير الاسرى الأمريكيين عسكريا تحت حكم ستيفن ديكاتور[1] ووليام بينريدج[2] وقامت باستيلائها على سفينتين حربيتين جزائريتين أحدهما بقيادة القائد الشهير الريس حميدو[3]، بعد حصار ميناء الجزائر، حيث أجبر الداي على الموافقة على معاهدة تعليق دفع الجزية واستبعاد الأسرى الذين يعتبرون بعد ذلك أسرى حرب[4].

وفي خطاب للرئيس ماديسون أمام الكونجرس قام بتعيين وليام شالر قنصلا للولايات المتحدة الأمريكية، والذي قال في كتابه "هبطت إلى الجزائر بصفتي القنصل العام للولايات المتحدة الأمريكية والتي تم تعييني فيها من قبل الرئيس ماديسون"[5]، وصل وليام شالر إلى الجزائر في يونيو 1815 بأوامر من وزارة الخارجية للتفاوض[6]، بعدها اقلع الأسطول الأمريكي باتجاه البحر المتوسط، تحت امرة ستيفن ديكاتور و ويليام باينبرينج ، في 18 ماي 1815. ويحمل على متنه وليام شالر كقنصل أمريكي جديد بالجزائر، وأعطى له الوكلاء تعليمات بضرورة التوصل إلى سلم مشرف دون استخدام العنف ومعاهدة تقضي بتحرير

[1]–ستيفن ديكاتور: stephen decatur، قائد العمارة البحرية الأمريكية الأولى أو الذي خاض المعركة ضد الرايس حميدو في 17 جوان 1815، علي تابليت،المرجع السابق ص552.

[2]– ويليام بينبريج: william bainbrige، قائد العمارة البحرية الأمريكية الثانية ضد الجزائر1815،المرجع نفسه، ص 553.

[3]_ الرايس حميدو: هو من اصل جزائري ولد بالجزائر العاصمة 1770 كان متعطشا للجهاد البحري، حيث هجر مشاهير الخياطة ليشتغل نوتيا (بحارا) ، علي تابليت، **الرايس حميدو اميرال البحرية الجزائرية1770-1815م** ، د.ط، منشورات ثالة، البيار، الجزائر،2006، ص ص، 3-4.

[4] –akli mohand rezzik, ibid, p 178.

[5] –William shaler , **esquisse de l état d Alger, considéré sous les rapports politiques et civils** ,librairie l' advocat,paris,1830, p126.

[6]–William shaler, American consul general at Algiers, **sketches of Algiers, political, historical and civil**, Boston, 1826, p,126.

الأسرى، و تخليص الولايات المتحدة من الضرائب[1]، والبقاء في الجزائر كقنصل عام في حالة تحقيق ذلك من أجل الاستقلالية من طفولته والذي أصبح فيما بعد رسولا للحرية العقلانية في أمريكا الجنوبية واجه مجتمعا معروفا بالوحشية والقرصنة، كان المجتمع والحكومة مذهلين اكتسبت سمعة لكونها لا شيء أكثر مكان تعشيش لقطاع الطرق الشرسة وقد تم تأسيسها إلى حد كبير من خلال الروايات المبالغ فيها للعبيد السابقين والمسافرين الذين أرادوا كتابة قصص مثيرة وغريبة وسرقة الأعمال الموجودة وبالتالي نشر عدم الدقة السابقة وقام البعض الآخر بتشكيل تزيينات تخثر الدم لإحياء حساباتهم الخاصة والاختلافات بين الجزائريين والأمريكيين بحلول 1815 الجزائر العاصمة,في البداية صدم شالر بثقافة مختلفة تماما وكان حكمه الخاص سريعا ووحشيا وكان مسار الحكومة على ما يبدو يعتمد على نزوات الانغماس الذاتي[2]

,أقام عشر سنوات في الجزائر بصفته القنصل العام للولايات المتحدة الأمريكية وبهذه الصفة انخرط في مفاوضات مهمة مع الحكومة وتمتع بكل ميزة منها الحصول على المعلومات[3] ترك مادة تاريخية غالية القيمة عن الجزائر وحملة اكسموث البحرية ضد الجزائر عام 1816.[4]

اليوم الذي وقعت فيه المعاهدة نزل وليام شالر إلى الشاطئ كقنصل عام واستقبل استقبالا يليق بمقامه وسرعان ما نفذ شرط استلامه المبلغ المالي وكمية من القطن وخوفا من الأسطول الأمريكي أوصى مجلس الشيوخ بالتصديق على معاهدة شالر ديكاتور مع الجزائر

[1]- بلقاسم قرباش، **الأسرى الأوروبيون في الجزائر خلال عهد الدايات1671-1830**، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية،جامعة، مصطفى اسطنبولي،معسكر،الجزائر، السنة الجامعية-2015-2016 . ص93.

[2] -allf Andrew heggoy and others, Ibid p,7.

[3]-William shaler, ibid, p, 410.

[4]- عميراوي أحميدة، المرجع السابق، ص25.

21 ديسمبر 1815 واعلن عنها الرئيس بعد 5 أيام في 4 أفريل 1816، وصل العميد البحري جون Show إلى الجزائر ومعه نسخة من المعاهدة وبعد يومين استدعي الداي شالر وشو لتبادل التصديقين، غير ان الداي قرر أن يتنكر للمعاهدة واثار الاعتراض لها وأجيرا أعلن أنها غير ذي قوة شرعية ملزمة بسبب فشل الولايات المتحدة الأمريكية مع الداي عدة أيام وأخيرا بلغ النزاع ذروته بانسحاب شالر إلى الأسطول الأمريكي بضرب مدينة الجزائر ثم تخلى عن الفكرة وعاد الطرفان إلى المفاوضات تحت راية الهدنة.[1]

وأخيرا وافق الداي على قبول المعاهدة الجديدة مؤقتا على أن يكتب رسالة إلى الرئيس ليوضح شكواه وينتظر منه الرد وبموجب هذا الاتفاق عاد شالر إلى وظيفته وعند استلام شو، رسالة الداي وقام بارسالها فورا إلى الولايات المتحدة الأمريكية ومع شهر أكتوبر وصل رد الرئيس وأضاف الرئيس في رده على الداي أن شالر والعميد البحري إسحاق سونشي عينا كمفاوضين لإنهاء الخلافات القائمة باعتراف متبادل وتنفيذ المعاهدة الأخيرة المبرمة[2] .

[1]–علي تابليت، المرجع السابق، ص 419.

[2]– المرجع نفسه، ص ص 419–420

1-علاقة شالر بالأتراك:

أ- على الصعيد الشخصي:

يبدو أنه كان يتمتع بالحظوة لدى بعض الوزراء والشخصيات، بل أن عمر باشا نفسه كان على الرغم من كل شيء يحسن استقباله شيء يحين استقباله ويبدي له شعور التقدير، والشخصيات الكبيرة التي كان يرتبط معها بعلاقات تقدير ومودة، هي الأغا[1] (بمثابة وزير الدفاع) ووزير البحرية ومدير الميناء، و الخزناجي الذي كان وقتا ما في حالة فقر مما اضطر إلى اللجوء إلى القنصل ليستلف منه دولارا واحدا، مما أدى به الحظوظ إلى أكبر منصب بمثابة رئيس الوزراء في البلد بعد منصب الداي، حيث كان هؤلاء يزودونه بالمعلومات الداخلية، وبالنصائح في أوقات الملمات، كما كانوا يستمعون إلى آرائه ونصائحه في شؤون السياسة العليا والمشاورات التي جرت بشأن تحديد موقف الجزائر تجاه مطالب إكسموث في حملته الأولى الفاشلة تقدم لنا دليلا مؤشرا في هذا الاتجاه، مثل رضوخ سلطات الداي أمام إمتناعه عن تسليم خدمة من أبناء القبائل للشرطة التي لم تتورع عن اقتحام مخدع زوجة القنصل البريطاني للتفتيش والقبض على خدمه[2].

ب - على الصعيد الرسمي:

كان القنصل شالر مثل باقي معظم القناصل الأوروبيين، يشعر بالضيق ويجد أنه من غير الطبيعي أن يكون لبلد صغير الرقعة قليل السكان، متخلف من الناحية الصناعية والتجارية، مثل ما الجزائر من النفوذ والقوة أمام الدول البحرية، وهو يرى أن حكومة الأتراك

---

[1]- الأغا: هي مصطلح من أصل فارسي و يعني السيد و قد استعمله الأتراك لدلالات كثيرة منها انها كانت تطلق على الضباط الأميين، و منها أيضا صاحب المنصب الكبير، سهيل صبان، **المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية**، مراجعة، عبد الرزاق محمد حسن بركات، مكتبة الملك الفهد الوطنية، الرياض، السعودية ، ص ص15-16.

[2]- وليام شالر، المصدر السابق، ص 14.

التي يكثر من وصفها بالبربرية والاستبداد لم تكن أن تلخص من تدعيم نظام القرصنة، حيث كان ينتقد سياسة حكام الجزائر من خلال الحجج التي يقيم عليها إدانته لها في النقاط التالية:

1- أنها حرمت العنصر المحلي من كل فرصة لشغل المناصب في الحكومة (ماعدا البحرية) والاشتراك فيها في إدارة شؤون بلدهم.

2-كما أنها تقوم على عاتق حثالة من الانكشاريين الذين ينتمون إلى أحط للطبقات في بلادهم ويجندون خصوصا من سهول الأناضول، فإذا وصلوا إلى الجزائر انفتحت أمامهم أبواب المناصب العليا حتى لو لم يكونوا يحسنون القراءة والكتابة.

3-أنها حرمت تجارة التصدير على الأهالي وذلك خشية إظهار التجارة والإنتاج وتدفق الثروة على الأهالي.

4-أن الأتراك الذين يتخذون من القرصنة وما يعرف بالجهاد البحري المورد الرئيسي للدولة، وتجاهلوا كل ما حققته الدول البحرية في غضون القرون الثلاثة الماضية من التقدم الصناعي والتجاري والعظمة الحربية، وظلوا يشعرون شعورا زائفا بتفوقهم البحري.

5-أن نظام الحكم التركي يتجاهل قواعد الاقتصاد السياسي وما يقتضيه من موازنة الدخل والخرج ومن قيام النظام الجبائي على أسس معقولة من العدل والإنصاف.

أي في نظر شالر أن الاستعمار هو استعمار الذي سينشر الصناعة ويشجع التجارة مع الدول البحرية والبلدان الإفريقية الداخلية المجاورة، وهذه النظرة الاستعمارية لهذه الشعوب قد استنزفت خيراتها وسواعدها من اجل مصلحة هذه الدول الاستعمارية[1].

[1]-وليام شالر، المصدر السابق، ص15

2- وصف شالر البحرية الجزائرية:

في مطلع القرن التاسع عشر وصف الدبلوماسي الأمريكي وليام شالر قوة الجزائر البحرية بقوله "لقد كان الجزائريون في أوج قوتهم وسمعتهم حتى أن أعظم الدول البحرية لا تماثلها غير بحرية بريطانيا العظمى[1]

والحقيقة أن عظمة الجزائر البحرية قد بلغت أوجها في النصف الأخير من القرن السادس عشر والنصف الأول من القرن السابع عشر، ولقد اتفق الكتاب الأوروبيون أنفسهم على أن نفوذ الجزائر البحري والسياسي قد امتد إلى الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط من ناحية وإلى الشواطئ"[2].

كانت البحرية الجزائرية في الماضي تتكون من عدد من السفن ذات المجاديف والسفن الثلاثية الصواري، ولكنه في العصور الأخيرة أعيد تشكيلها عقب التحسينات التي أدخلها الأوربيون على بناء السفن، وعلى فن الحرب في البحر وقبل معاهدة الصلح (الأمريكية-الجزائرية) التي عقدت في يونيو 1815م كانت الجزائر تمتلك أربعة بوارج تتراوح قوتها بين 44 و50 مدفعا، وأخرى قوتها 38 مدفعا بالإضافة إلى ثلاثين زورقا حربيا، لكن هذه السفن حطمتها الأساطيل البريطانية والهولندية أثناء المعركة البحرية التي جرت في أغسطس 1816م، إلا أن الجزائريين تمكنوا من إعادة تكوين أسطولهم بشراء بعض السفن أو بنائها، أو بالسفن الحربية التي قدمها إليهم الباب العالي وسلطان المغرب الأقصى وباشا طرابلس وبهذا أصبح الأسطول الجزائري قويا وفعالا بحيث يستطيع القيام لكل مهمة يكلف بها. أما أن دار صناعة السفن في الجزائر تتلقى كميات مهمة من الخشب وجميع المواد الضرورية لبناء السفن وتجهيزها وتسليحها.

---

[1]- William shaler, ibid, p 119

[2] -William shaler, ibid, p 281.

والحكومة الجزائرية كانت تستخدم في أسطولها وبصفة دائمة نحو ثلاثة آلاف بحار، ويرفع أحيانا ستة آلاف رجل عند الضرورة. والسفن الجزائرية التي تعتبر سفن حربية لا تستحق أي اهتمام وبحارتها يجهلون طرق المناورة في المعارك البحرية، أما أن مقدرة الجزائريين على تجهيزات الاساطيل وتسليحها للقتال لا تفوق مقدرة أي شعب آخر في العالم، تلك هي حالة الأسطول الجزائري الذي يتمتع بشهرة عظيمة تردد صداها أغاني الشعراء، ويرتعد من ذكره الأطفال والعجائز، والذي تسبب في إهانة كثير من الدول[1].

5- وفاة شالر بهافانا 1833:

جاء في أسبوعية WeekyBegisterالصادرة في 20 أفريل 1833 أن الكوليرا أصابت مدينتي هافانا وحصدت عددا كبيرا من السكان وتوقفت مختلف النشاطات في Montrealو Newyork، ووصل عدد الوفيات خلال شهر واحد من 9 إلى 10000 آلاف مواطن في هافانا ومن بين الذين ماتوا بهذا الوباء يوم 28 مارس 1833م هو وليام شالر القنصل الأمريكي العام بالجزائر سابقا، حيث كان يشتغل وكيلا تجاريا لـ الولايات المتحدة الأمريكية بهافانا,مات عن عمر يناهز 55 عاما دفن في مقبرة Mortimer cemetry، ويوجد اسمه في القائمة الكبيرة للموتى وضمن قسم Foot Stones وقد سجلها Coralynn Brown بتاريخ 28 ديسمبر 1934م وذلك بنقش الأسماء لهذه المقبرة بحيث يذكر الاسم واللقب وتاريخ الميلاد إن وجد والوفاة مع عدد السنوات والأيام والشهور التي عاشها الميت[2].

[1]- وليام شالر، المصدر السابق، ص ص 61-62.

[2]-علي تابليت، **العلاقات الجزائرية الامريكية1776-1830**، المرجع السابق، ص453.

6- مؤلفاته وأعماله:

- ✓ توجت دراساته بنشر كتاب Sketches Of Algiers نشر في 1826م بعد أن أرسله في شكل مخطوط في 10 جانفي 1825م حيث يناقش هذا الكتاب تاريخ وجغرافيا وعادات وتقاليد ولغات ومظام الحكم وترجمة تحت عنوان Bianchi.
- ✓ مجلة Esquisse De L'état d'Alger, Paris, 1830قد قدمت عرضا شاملا لكتابه مختصر في تاريخ الجزائر.
- ✓ Communication On The Language Manners, And Berbers Of Africa.
- ✓ وله أيضا في بداية مغاراته البحرية رحلة بعنوان: Journal Of A Voyage Between China And The North Western Coast Af America Register America, Made In 1804.[1]

[1]- علي تابليت، المرجع السابق، ص403.

الفصل الثاني

التركيبة الاثنية لمدينة

الجزائر خلال العهد العثماني

- التركيبة السكانية
- حال الأسرى
- العبيد السود

تمهيد:

بداية وقبل الحديث عن الشرائح والفئات التي كانت تقطن مدينة الجزائر خلال العهد التركي ومعرفة واقع ما يميزها عن غيرها ومكانتها الاجتماعية، ومن ثمة يجب الإشارة أولا إلى عدد السكان في المدينة، وهناك الكثيرين أشاروا إلى ذلك، حيث كان يسكن الإيالة حوالي عشرة ملايين نسمة وتتكون هذه الإيالة من مدن وقرى، وموانئ وأرياف، غير أن الجزء الأكبر الذي هو قاعدتها ومصدر ثرواتها يوجد خارج المدن التي يبدوا أنها تكونها وذلك حسب حمدان خوجة[1].

لكن السلطات الاستعمارية الفرنسية كانت تنفي هذا الرقم نفيا قاطعا، فحسب إحصاء 1856م، بلغ عدد سكان الجزائر 2،3 مليون نسمة فقط، وذلك يعود إلى أن السلطة الاستعمارية لم تكن قد امتدت في هذه السنة إلى كل جهات إقليم ايالة الجزائر في العهد التركي، وبالتالي فإن هذا الرقم يكون أقل من الرقم الحقيقي، حيث كان هؤلاء السكان موزعين على المدن والأرياف والقرى[2].

حيث أن هذا التركيب الاجتماعي للجزائر يعكس التنوع العرقي من حيث الأصول للمجتمع الجزائري، وبوجود الأتراك من حيث الأصول للمجتمع الجزائري، وبوجود الاتراك مما زادها لحصة مهمة للامتزاج الثقافي الموجود فيها من قبل، وقد تكونت عدة فئات اجتماعية[3].

---

[1]– حمدان بن عثمان خوجة، **المرآة**، تق وتع وتح، محمد العربي الزبيري، د.ط، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، 1982، ص 13.

[2]– صالح عباد، **الجزائر خلال الحكم التركي 1514–1830م**، د.ط، دار هومة، الجزائر، 2012، ص 355.

[3]–مؤيد محمود حمد المشهداني، **أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني،1518–1830**، مجلة الدراسات التاريخية و الحضارية، مجلة علمية محكمة، مج5، ع16، جامعة تيارت، الجزائر،2013، ص425.

اولا- التركيبة السكانية:

يتميز المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني بتعدد الطبقات نظرا للتباين الذي طرأ على الأصول ،اذ كان يتشكل من أتراك و جزائريين وكراغلة ومهاجرين اندلسيين و زنوج ويهود و أوروبيين ،ورغم ذلك لم يؤثر هذا التنوع على وحدة و انسجام وترابط المجتمع الجزائري.

1- فئة الأتراك:

يعتبرهم شالر بأنهم شعب أصيل متميز عن غيره من الشعوب، ووجودهم في إفريقيا بصفتهم غزاة محتلين ولكنهم مع مرور الزمن، اختلطوا بالسكان الأهالي، ولولا روافد المجندين الجدد من تركيا الذين يصلون إلى البلد باستمرار، لاندماج الأتراك في السكان الجزائريين، ويحافظون بدقة على الشريعة الإسلامية، ولكنهم يتحدثون اللغة التركية التي هي اللغة المستعملة في الإدارة الحكومية.

أما الأتراك المقيمون في الجزائر كلهم أساسا من الجنود، ولكن فئة منهم، أو طبقة من المدنيين الذين يسمون الواحد منهم (خوجة) أو الكاتب، وهم ممن يعرفون القراءة والكتابة، وهذه الفئة تتمتع بامتيازات كبيرة وتوفر كتاب الإدارة الحكومية[1].

وللعلم أن الاتراك شعب بسيط حذر ولهم نفس الفضائل والرذائل التي تجدها في دولتهم نصف المتحضرة، وهم جديرون بالثقة في كلامهم، كما أنهم يتصفون بالأدب واللّباقة والإنسانية في معاملاتهم اليومية، ولكنهم حين يجدون أنفسهم في الحياة السياسية يكتشفون في أنفسهم وحشية نادرة، وإن أحط الأتراك قدرا و أوضعهم شأنا يرفض باحتقار أية فكرة مساواة بينه وبين الأهالي، والنظرية التي تعلمها الأتراك جيلا عن جيل والقائلة بأن التركي ولد ليحكم ويتولى القيادة والجزائري والأهلي ليخضع. كما أن الجنود الأتراك الشبان يلازمون

[1]- وليام شالر، المصدر السابق، ص 107.

ثكناتهم ولا يسمح لهم بالخروج إلى المدينة إلا في يوم الخميس، ويكون ذلك تحت مراقبة حارس يراقب سلوكهم[1]، في حين نجد العديد من المصادر والمراجع المحلية وكذلك الأجنبية قد تحدثت عن هذه الفئة الحاكمة وهي المسيطرة على الجزائر حتى حكمها سنة 1830مبعد دخول احتلال الفرنسي للجزائر، ورغم قلة عدد أفراد هذه الجالية التي لم يتجاوز عدد أفرادها سنة 1830م 20000 نسمة، حيث كانت قوية وذات نفوذ واسع في البلاد، ويحرص أفرادها على إبقاء المناصب الحكومية بين أيديهم، وعزل السكان الأصليين للبلاد عنهم حتى لا ينافسوهم في السلطة والنفوذ، حيث تميزوا عن غيرهم من السكان باتباع تقاليد تركية والافتخار بأعمالهم العسكرية، والاعتزاز بلغتهم الأصلية والعزوف عن خدمة الأرض[2].

حيث كانت تتشكل في أغلبها **من "جنود الأتراك الإنكشارية"** الذين كانوا يستقرون في حصون وثكنات مدينة الجزائر. أو يتوزعون على حاميات المدن، ومن أهم هذه الحصون التي كان يقيم بها الجنود الأتراك: حصن القصبة، برج النجمة، والبرج الجديد، وبطارية الباب الجديد وبطارية سيدي رمضان، ومن أشهر الثكنات: ثكنة الخراطين، وماكرون وأسطر موسى والدروج، وآسكيوباب الجزيرة زباب البحر و...الخ، أما خارج مدينة الجزائر فتتوزع العناصر التركية على الحاميات التي بلغ عددها خمسة عشر حامية موزعة على 71 سفرة منها 10 سفرات بوهران و5 سفرات في كل مدينة من المدن: قسنطينة، عنابة وتبسة...الخ[3].

وهكذا ظلت الأقلية التركية ضئيلة العدد لم يتجاوز عدد أفرادها أواخر القرن السادس عشر عشرة آلاف نسمة وقد ظل هذا العدد ثابتا تقريبا حتى أوائل القرن التاسع عشر ولعل تراجع العنصر التركي رغم المدة الطويلة التي قضاها الأتراك بالجزائر والتجاؤهم إلى عدم استقدام جماعات تركية بين الحين والآخر العمل في الأرياف وإلى حالة العزوبة التي كان

---

[1]– وليام شالر، المصدر السابق، ص 54.

[2]– عمار بوحوش، **التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962م** ، ط1، د.غ.إ، بيروت، لبنان، 1997، ص 73.

[3]– ناصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي البوعبدلي ، **الجزائر في التاريخ العثماني**، ج4، د.ط، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، رغاية، الجزائر، 1984، ص 92.

يعيشها أغلب أفراد الجيش التركي العامل، وعدم تبني أبنائهم "الكراغلة" واعتبارهم عنصرا هيجا لا يرتقي إلى مستوى الأصول التركية الخالصة[1]، ورغم أن كل الأتراك بالجزائر كانوا يمتهنون الجندية ويستطيعون حسب النظام العسكري أن يصلوا إلى أعلى المناصب، فالدّاي نفسه كان جنديا في صفوف الحامية، وهذا ما يخول له الحصول على جرابته عندما توزع المرتبات كل شهر وهي تقدر بحوالي عشر قطع نقدية من صنف ايكو (ECUS).

وقد كان هؤلاء الأتراك ينظرون إلى الجزائريين نظرة يشوبها الاحتقار وينعتونهم بأنهم مجموعة من العصاة أو الخارجين عن القانون فلا يجندون أحدا منهم في الحامية، ونفس النظرة تحملها النساء التركيات عن الجزائريين، على أن الرجال الأتراك يضطرون إلى الزواج من نساء مسيحيات أو مع نساء البلاد أي (الجزائريات) لكن أولادهم لا يستطيعون احتلال المراتب الكبيرة في المملكة[2]، لما تعرض دو هايدو في أواخر القرن السادس عشر لسكان مدينة الجزائر من الأتراك حيث قسمهم إلى صنفين:

- ✓ صنف الأتراك الأصليين الذين يأتون يوميا من الإمبراطورية العثمانية بحثا عن الثورة، خاصة في ميدان القرصنة، فإنهم يأتون من الأناضول أو تركيا الآسيوية، ومن رومانيا أو تركيا الأوروبية، حث أن أتراك أوروبا لا ينتمون إلى الإنكشارية، بل يعيشون من عملهم وصناعتهم وكانوا يشكلون حوالي 1600 بيت
- ✓ الصنف الثاني هو أتراك العقيدة وهم المسيحيون المرتدون عن دينهم، الذين اعتنقوا الإسلام، وهم المعروفون باسم الأعلاج وهم أكثر عددا من الأتراك الأصليين[3]. والذين تعود أصولهم إلى مختلف بلدان أوروبا، ولا سيما المطلة على البحر المتوسط، وقد اتخذ

[1]– ناصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي البوعبدلي ، المرجع السابق، ص 93.

[2]– ج أو هابنسترايت، المصدر السابق، ص ص 29–30.

[3]– صالح عباد، المرجع السابق، ص356.

هؤلاء الجزائر وطنا لهم، ليحسنوا أوضاعهم المادية، وتحقيق طموحاتهم وقد كان الأعلاج يشكلون منذ النصف الأول من القرن 10هـ/16م أغلبية رجال البحرية الجزائرية[1].

كما حدد الأب دان[2] عدد الأعلاج في مدينة الجزائر سنة 1649م بحوالي ثمانية آلاف من الذكور، وبين ألف وألف ومائتين من الإناث، من بينهم 3 أو 4 فرنسيين، وبالتالي نشير الآن الى طائفة الأتراك التي كانت منعزلة عن المجتمع الجزائري ومتمسكة بلغتها التركية وبمذهبها الحنفي، تخضع لنظام قضائي خاص[3].

وقد تميز الأتراك العثمانيون عن غيرهم من السكان في نوع اللباس الذي كانوا يلبسونه، لذلك كانوا يعرفون بسهولة وكان يفسح لهم في الطريق وقد أورد "دوتاسي" وصفا مستفيضا لهذه الملابس[4].

2- فئة الكراغلة:

هم الذين ينحدرون من أصل تركي، يبلغ في البلد عددهم نحو عشرين ألفا، ولا يتمتعون بحقوق أكثر مما يتمتع به الجزائريون، فيما يتعلق بالمناصب في الدولة، ولكنه يمكنهم الترقي في البحرية، كما يمكنهم الوصول إلى منصب (القائد) و(الباي)، وهم لا يزالون حتى الآن يتمتعون بالإذن بلبس الملابس بطرز الملابس المطرزة بالذهب، كما يتمتعون بامتيازات مماثلة لا قيمة لها، ولكنه لا تربطهم أية علاقة بالأتراك، وقد رفضهم الجنس التركي رفضا

[1]- أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 60.

[2]- الاب دان: هو شخصية دينية مسيحية، من أصل فرنسي، حامل لشهادة البكالوريا في علم اللاهوت من جامعة باريس، كان رئيس جمعية تنظيم الثالوث المقدس و افتداء الاسرى، كلف بمهمة القدوم الى بلاد البربر لافتداء الأسرى في 19 ماي 1631م، ينظر حفيظة خمشون، المرجع السابق، ص 49.

[3]- صالح عباد، المرجع السابق، ص 357.

[4]- أحمد بحري، **الجزائر في عهد الدايات**، دراسة للحياة الاجتماعية ابان الحقبة العثمانية، ج2، د.ط، دار الكفاية، الجزائر، د.ت، ص 11.

قاطعا واعتبرهم من جنس السكان الجزائريين[1]، إضافة إلى ما قدمه شالر عن هذه الفئة، أجمعت العديد من المصادر التاريخية على تعريف هذه الشريحة بأنها من أهم الفئات الاجتماعية في بعض المدن الجزائرية بعد فئة الأتراك العثمانيين والأعلاج، نظرا لما كانت تتمتع به لبعض من الامتيازات المتمثلة في بعض التسهيلات كإعفائهم من الضرائب[2]، وهؤلاء الكراغلة أو الكرغلان كما ورد في بعض الكتب وهم أولاد الأتراك من أمهات جزائريات وكانوا عدة الاف[3].

حيث بلغ عددهم في نهاية القرن الثامن عشر بمدينة الجزائر حوالي 6000 نسمة، كما تزايد عددهم بشكل ملحوظ في مدينة تلمسان[4]. وألفوا شبه حكومة خاصة بهم وأصبحوا يتقاسمون المدينة مع طبقة الحضر، بالإضافة إلى امتلاكهم ديوان خاص بهم وصلاحيات معترف بها تسمح لهم حتى باستخلاص الضرائب من الجهات الجبلية الصعبة كبني مسوس وبني فارس وطرارة، ورغم تناقص عددهم بسبب الأمراض، وانتهاج الأتراك الحكام سياسة الحدّ من تزاوج الجندي التركي من الجزائريات، وترحيل جماعات كثيرة منهم إلا أن عددهم لم يتناقص كثيرا إذ بقي يتراوح ما بين 4000 و6000 نسمة أواخر القرن الثامن عشر (1781م) ثم تزايد حتى ناهز 9000 نسمة في أوائل القرن التاسع عشر (19 م)[5].

وهذا الثقل الاجتماعي الذي مثلته هذه الفئة أدى إلى تخوف الأتراك حين كانت عيونهم وجواسيسهم لا تفارقهم خوفا من احتمال تواطئهم من أعيان البدو ووجهاء القبائل

[1]– وليام شالر، المصدر السابق، ص 56.

[2]–أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 63.

[3]– نور الدين عبد القادر، **صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي**، د.ط، دار الحضارة، بئر توتة، الجزائر، 2006، ص 143.

[4]– عمار بوحوش،_المرجع السابق، ص 76.

[5]– ناصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص 95.

بقصد الاستيلاء على مقاليد السلطة في الجزائر[1] مما أدى إلى سوء العلاقة بين الأبناء والآباء وتخوف الآباء وارتيابهم من تزايد عدد هذه الفئة، وهذا ما أدى إلى منعهم من الانخراط في الديوان أو في الاوجاق[2] وكان المجال الوحيد الذي فسح لهم هو الغزو البحري في بادئ الأمر[3].

ونذكر على سبيل المثال أخطر ثورة للكراغلة قاموا بها على النظام التركي هي ثورة 1633م، في عهد الباشا حسين (1626-1633م) إذ تسللوا إلى مدينة الجزائر في الظلام لكن محاولتهم انكشفت وقضي على زعماء الثورة بكل وحشية، وقام الاتراك بنفيهم نحو المدن وتشتيت تجمعاتهم. وقد كان لسياسة التقارب بين الأتراك والكراغلة أثر سيء في العلاقة بين الكراغلة والأهالي إذ أصبح الجزائري العادي ينظر إلى الكرغلي نظرة لا تختلف عن نظرته للسادة الاتراك الحاكمين[4].

وعلى الرغم من حركات التمرد التي تزعموها (الكراغلة) على سلطة آبائهم الأتراك، إلا أنهم احتفظوا ببعض الامتيازات، مثل حق الانخراط في الإنكشارية وأهليتهم لتولي بعض المسؤوليات الهامة كما حدث مع أحمد باي بقسنطينة ومحمد الذباح باي التيطري ومصطفى باي الغرب[5]، مع العلم والمعروف أنهم كانوا يملكون ثروات ويستثمرونها في المزارع

[1]- حنيفي هلايلي، **أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، ط1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2009، ص 166.

[2]- الاوجاق: هم من كبار الضباط العسكريين الاتراك من فرقة الطبشية التي تعمل في الجيش الجزائري وقد كان لهم دور كبير في ديوان السلطة السياسية خلال العهد العثماني. ينظر: سفيان صغيري، المرجع السابق، ص33.

[3]- عائشة غطاس، **الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830**، مقاربة اجتماعية اقتصادية، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث، ج1،د.ط، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، السنة الدراسية 2000-2001، ص 15.

[4]- حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص 167

[5]- صالح عباد، المرجع السابق، ص 358.

ويترفعون عن خدمة الأرض أو القيام بأعمال اليدوية[1].

3-فئة البرانية:

لقد ضمّت الجزائر عددا هاما من البرانية، وهي عناصر نزحت من مناطق مختلفة إلى المدينة للعمل فيها مؤقتا، حيث كانوا يقومون بمختلف الأعمال في مدينة الجزائر، وسوف نذكر أهم تلك الجماعات التي كانت تشكل احدى مكونات التركيبة السكانية[2] والمتمثلة في:

أولا: جماعة البسكريون

حيث يذكر شالر أنهم مجموعة يقطنون في المناطق الجنوبية التي تقع على أطراف الصحراء، وراء المنطقة التي تسمى (الشط) من المملكة، وهم شعب جدي، حيث يختلف من حيث مظهره وسلوكه عن غيره من القبائل العربية والإفريقية، وذلك على الرغم من أنهم يتحدثون لهجة محرفة من العربية ويرجح أن يكون فرعا للجنس العربي. إلا أن سلوكهم تغير بسبب استقرارهم في المدن واختلافهم طمع باك فارقة، و البسكريون يخضعون لسلطان الجزائر، ويعتبرون من أهدأ العناصر في المملكة، في حين أن السلطات تحتفظ بحامية تركية في أراضي بسكرة تحت سلطة قايد، إلا أنهم يتمتعون بامتياز التبعية لأمين يقطن هنا ويعرف به الحكومة[3].

فهم قوم مسالمون ومخلصون ويتمتعون بالثقة، ويحتكرون صناعة الخبز، وهم الذين يحملون الخبز في الجزائر، وحيث تستخدمهم الحكومة في انجاز الأشغال العمومية، وهم وسطاء في التجارة بين مدينة الجزائر و غدامس، وفي الجزائر عدد كبير من البسكريون

[1]- عمار بوحوش، المرجع السابق، ص 74.

[2]- أمين محرز، **الجزائر في عهد الأغوات (1659-1671م)**، د.ط، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، باب الزوار، الجزائر، 2013، ص 152.

[3]- وليام شالر، المصدر السابق، ص 109.

العمى الذين يود إليهم بمراقبة الشوارع و الأبواب الداخلية في الليل، و البسكريون لا يدينون بغير الدين الإسلامي[1]، كما ذكر الكثير من الكتاب أنهم كانوا يشتغلون بالمهن الوضعية، فمنهم من يشتغل بالسقاية، ومنهم من يهتم بتنظيف المداخن، ومنهم من يشتغل في دراسة الغنائم بالميناء أو كعمال أو خدم[2]، ويتولى شؤون هذه الجماعة (البساكرة) أمين يعرف لدى ا لعامة (بالبسكري سيدنا) وهو مع بساطة لباسه وتواضعه كان له نفوذ قوي وكلمة مسموعة لدى الحكام، ومن حقه فرض الغرامات وتحديد الكراء الشهري لـ 24 دكانا تابعة لأفراد جماعته[3]، وكانت هذه الجماعة التي وفدت من مناطق الزيبان، ووادي ريف، وتقرت وطولقة، فهذا زيان البسكري الطولقي، وهذا محمد الرحماني البسكري[4].

ثانيا: الميزابيون:

بنو ميزاب، أو الميزابيون يعيشون في منطقة تقع في الصحراء في جنوب الجزائر وعلى مسيرة عشرين يوما منها بالقوافل التي تمشي خمسة أيام على الأقل بعد حدود الإيالة، حيث قدر شالر المسافة بين الجزائر ووادي ميزاب عشرون يوما، في حين أكد البعض أن المسافة هي أربعون يوما. حيث أن هذه الأمة الصغيرة (بنو ميزاب) تتكون من خمسة مناطق وهي: (غورديكا)، و(بيرجان) و(رجلة) و(أنجوس) و(نديم)، وهذه الأماكن مرسومة على خريطة افريقية للميجر ورومال Rennel بين درجة 3،0 ودرجة 33،0 عرض شمالي[5]، وقد أشار سبنسر بأن هذه الفئة من اللاجئي الإباضيين والخوارج الذين أسسوا عصبة المدن الدينية المذهبية في عمق الصحراء خلال القرن 10 ميلادي، بعد أن أبعدهم الفاطميون من المغرب

[1]– وليام شالر، المصدر السابق، ص 110.

[2]– حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص 170.

[3]– ناصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي البوعبدي، المرجع السابق، ص 100.

[4]– عائشة غطاس، المرجع السابق، ص 25.

[5]– وليام شالر، المصدر السابق، ص ص 110–111.

الأوسط.[1]، وللعلم أن كل قبيلة يحكمها مجلس يتكون من اثني عشر عضوا من الأعيان (مجلس العزاب) الذين ينتخبهم الشعب، وسكان هذه المنطقة يعرفون بالتمبكتين، ولا يرتبطون بصلات تجارية مع أي بلد في داخل إفريقيا، فيما عدا غدامس وتافيلالت، حيث وصفهم بأنهم قوم هادئون نشيطون في التجارة ومشهورون بالأمانة والنزاهة في الأعمال، وبلدهم يتمتع باستقلال تام عن حكومة الجزائر، كما يتمتعون بامتيازات وتجارتهم تضمنها معاهدة مكتوبة وقعتها حكومة الإيالة. وهم في الشؤون المدنية لا يعترفون بالسلطة إلا للأمين الميزابي الذي يقيم بالجزائر، بالإضافة إلى أنهم يتمتعون باحتكار الحمامات العمومية والقصابات والطواحن.

ومن سماتهم: هم بيض اللّون، لكن ملامهم ومنظرهم العام يشبه ملامح العرب، وهم يدينون بالإسلام ولكنهم يخرجون عنه في مسائل يصعب شرحها لأنهم يرفضون الصلاة في المساجد العمومية ولهم مسجد خاص بهم خارج المدينة في مبنى طاحونة، وهناك يعقدون اجتماعاتهم ويؤدون الصلاة، ويشير ذلك شالر أن الذي يمنعهم من أداء الصلاة في المساجد العمومية هو اعتقادهم بأنها أماكن غير طاهرة، أما لغة فهم يتحدثون نفس اللغة التي يتحدثها الشعب للمسمى (القبائل) ولكن لغتهم الهادئة والتي ممارستهم حرفة التجارة فهم شعب أصيل لم عتد أحد قط على أراضيه بالسطو والغزو.

والميزابيون يستوردون إلى الجزائر العبيد والبشر وريش النعم والجمال والتمر، وذلك في مقابل البضائع المصنوعة التي يصدرونها[2]، من جهة أخرى أشار مصدر آخر إلى الدور الاقتصادي الذي كانت تتميز به هذه الفئة في مدينة الجزائر، مما كانت تمتلك العديد من

[1]– وليم سبنسر، **الجزائر في عهد رياس البحر**، تع وتق عبد القادر زبادية، د.ط، دار القصبة للنشر، حي سعيد حمدين، الجزائر، 2006، ص 100.

[2]– وليم سبنسر،المرجع السابق، ص 112.

الحوانيت التجارية التي تتخذها أيضا مسكنا لها، وتدير الحمامات والمطاحن، وشكلوا أغلبية الجزائريين والرحويين[1].

بحيث يعتبرون أغنى مجموعات البرّاني[2]، ومن ميزات هذه الفئة أنها عرفت بتفانيها في العمل ونزاهتها، كما عرفت بإخلاصها للحكام ووقوفها بجانب الأتراك في صراعهم مع الكراغلة، مما ساعدها على اكتساب ثقة الحكام والحصول على العديد من الامتيازات مع نهاية القرن الثامن عشر[3].

ثالثا: القبائل.

هذه الفئة كان لها اهتمام من طرف الدارسين بالمنطقة حيث حاولت هذه الفئة عبر التاريخ أن تحافظ على استقلاليتها عن حكومة الاتراك، وعرفه شالر بأنه شعب من بقايا النوميديين الذين لم يخضعوا قط للقراءة والفاتحين لإفريقيا منذ عهد الفينيقيين ولعل وتسمية (القبائل) مشتقة من الكلمة العربية (قبيلة) (جمع قبائل) وهذه التسمية تنطبق على وضع القبائل السياسي، فهم جميعا يعيشون في الجبال في الأطلس الكبير، وفي مختلف السلاسل التي تتفرع عنه والتي تحمل أسماء عربية مثل بني سنوس، وبني زروال وبني زواوة وبني عباس.

وكلمة (بني) في العربية تعني: ينحدرون من أصل كذا، وهذا الشعب يسمى (البربر) ومن الكلمة اشتقت (بارباري) الإنجليزية التي نطلقها على هذه المنطقة من العالم، والقبائل شعب أبيض لهم قامة معتدلة، وعضلات قوية بعيدون عن السمنة، ومثلهم مثل غيرهم من سكان الجبال، وهم قوم نشيطون يتسمون بالحيوية والأدب في المعاملة وذو مزاج رائق،

[1]– حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص 169.

[2]– صالح عباد، المرجع السابق، ص 359.

[3]– ناصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي البوعبدلي،المرجع السابق، ص 100.

والكثيرون منهم بيض البشرة ولهم شعر أشقر ويشبهون الفلاحين من سكان شمال أوروبا، أكثر مما يشبهون سكان بقية مناطق افريقية[1].

وقد ذكر الدكتور شاو قبيلة من هذه القبائل تسكن جبال الأوراس يعرفون بالشاوية التي تمتد من جنوب قسنطينة، وبعد الدكتور شاو قام بروس (BRUCE) بزيارة هذه المنطقة وأكد ما ذكره شاو عنها وعن سكانها، حيث أن هؤلاء القبائل يسكنون الجبال دائما ويفضلون قممها حيث يقطنون في قرى يسمونها (دشرة) تتكون من أكواخ مبنية بالطين والوحل، وهم شعب نشيط وذكي وهم يحبون من الزراعة في أرضهم تربية مواشيهم كل ما يحتاجون إليه في معيشتهم.

والقبائل ينسجون عدة أنواع من الأقمشة الصوفية لاستعمالهم الخاص، والفضل يرجع إلى عملهم في كل ما يستهلكه البلد من زيت الزيتون، وهم يشتغلون مناجم الحديد التي توجد في جبالهم ويقومون بصهر ما يستخرجونه من الحديد الخام، ليصنعوا منه عددا كبيرا من الأواني البسيطة والآلات الزراعية، بل أن القبائل يعرفون صناعة الصلب الذي يستخدمونه لصنع عدة أنواع من الأسلحة وسكاكين المائدة، بالإضافة إلى أنهم يحسنون صنع بارود المدافع، فهم لا يستهلكون من المنتجات الصناعية الأجنبية، كما تحتوي جبالهم على ثروات طائلة من المال العين[2]، وهم يستهلكون الأغلبية الساحقة بين سكان الجزائر ولكن القبائل ينقسمون إلى عدد كبير من الجمهوريات التي تنهشها حروب مستمرة.

وكانت الحكومة من التركية تعمل على إذكاء نيران هذه الحروب وتستغل ميل القبائل إلى الشقاق لتزيدهم انقساما وتفريقا حتى تضمن لنفسها السيطرة عليهم، إلا أن القبائل يحملون في قلوبهم شعورا قويا إلى الاستقلال لا يمكن قهره بحال من الأحوال، وتاريخ الجزائر لا يشير إلى أن الحكومة المركزية قد تمكنت من إخضاع قبيلة واحدة اخضاعا تاما

[1]– وليام شالر، المصدر السابق، ص 113.

[2]– وليام شالر، المصدر السابق، ص ص 113–114.

بقوة السلاح[1]، وهم من أهم مجموعات البرانية عددا بمدينة الجزائر حيث لم يكونوا محل ترحاب من طرف العثمانيون بسبب ثوراتهم ضد الحكومة الجزائر[2]، لكن بعض القبائل، كما يذكر غراماي كانت في خدمة الأتراك والبلدية والأثرياء، فكان البعض يقوم بالخدمات المنزلية في المدينة والبعض الآخر كان يشتغل في البحاير، والجنان بالفحوص حيث كان بالمدينة سوق خاص بهم عرف بسوق القبايل ومن النشاطات التي مارسها أفراد الجماعة والتي كانت على ما يبدوا حكرا عليهم صناعة الفحم وبيعه، حيث شكلوا جماعة فرعية عرفت "بالقبايل الفحامين"[3]، وكذلك تمييز بين القبائل والقبائل الغرباء ولعل ذلك يعني القبايل المستقرين بصفة دائمة وأولئك الوافدين لفترات قصيرة المدى[4].

وقد أشار شالر إلى فئة بنو عباس: وهم الذين يقطنون الجبال التي تمتد بين الجزائر و قسنطينة، ويستطيعون وحدهم مواجهة وتحدي القوات العسكرية التي تملكها حكومة الجزائر، والوقوف في وجهها، حيث كانوا يعرفون كيف يستغلون الوسائل التي تحت تصرفهم، والأتراك في حرب دائمة مع القسم الذي يشرف على البحر من ولاية قسنطينة الذي يقطنه القبائل، فهم سادة المنطقة التي تمتد حول خليج عنابة، ومن شدة عداوتهم للترك يعتبرون كل أجنبي يقع في أيديهم تركيا، ولا يكتفون بتجريده من ممتلكاته بل يقتلونه أيضا.

وبعد عقد اتفاقيات الصلح بين هذه القبائل والحكومة التركية، أصبح كثير من أبنائها يقصدون إلى الجزائر وضواحيها للبحث عن العمل، وهم يشتغلون رعاة ومزارعين وخدما في المنازل[5].

[1]- المصدر نفسه، ص ص 115-116.
[2]- حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص 171.
[3]- أمين محرز، المرجع السابق، ص 155.
[4]- عائشة غطاس، المرجع السابق، ص 22.
[5]- وليام شالر، ص 116.

رابعا: الشاوية.

إذا كانت الشاوية لا تنحدر من الفينيقية فإن من المحتم أنها تنتمي إلى أصل قديم من أصول اللغات المهمة المعروفة وبالتالي فهم من أقدم الشعوب[1]، كما ان لغة الشاوية هي لغة جميع القبائل التي تسكن جبال الأطلس التي اشرنا اليها سابقا ومختلف سلاسله التي تمتد في الجزائر وتونس، وهي أيضا لغة سكان الصحراء التي تمتد من المغرب الأقصى باستثناء المناطق التي فتحها العرب ودخلوا إليها، وهذه اللغة يتحدثها الناس باختلاف يسير، حيث يتفاهم بها سكان جميع المناطق الواسعة التي يسكنها الشاوية مما يدل على أصالة هذه اللغة[2].

وفي هذا المضمار يشير سبنسر الى هؤلاء القبائل وبنو عباس والشاوية بقوله: "هم من صنف القبائل المغربية فقد تواردوا على مدن الغيالة مع التأسيس "السلم العثماني" ليطلبوا الاستخدام كخياطين ورعاة وحمال غير ماهرين وخدم البيوت في شكل الهجرة القروية التي تسبق التصميع"[3].

خامسا: التوارق:

لعل ما يميز هذه الفئة عن باقي الفئات هو عدم تعرض أراضيها للغزو الأجنبي فهم شعب أصيل لم تتعرض أراضيه قط للغزو، وأنهم يحتفظون بلغة قديمة لها صلة وثيقة بلغة الشاوية والقبائل، مما يدل على أنها أقدم لغات العالم، وقد عاشت وتغلبت على غزو الفينيقيين والرومان والوندال والعرب[4]، كما ذكر الرحالون من بينهم هورنمان وLyon ليون عن التوارق أنهم شعب أبيض اللون وكثير العدد، شجاع ميال إلى الحرب وأن سلوكهم

[1]– وليام شالر، المصدر السابق، ص 120.

[2]– المصدر نفسه، ص 112.

[3]– وليم سبنسر، المرجع السابق، ص100.

[4]– وليام شالر، المصدر السابق، ص 124.

وعاداتهم المستقلة، تختلف اختلافا كبيرا عن روح الضفة التي تسود بلاد فزان، وكذلك يسميهم هرنمان (الشعب العظيم)، وأما القبطان ليون، فقد ذكر أنه لم ير قط جنسا من الرجال أجمل من التوارق وهم يحلون ذلك البلد الواسع الذي يمتد بين فزان وتيبستي والسودان، و تمبكتو والمغرب الأقصى والحدود الجنوبية، لبلاد البربر.

وقد لاحظ ليون أنهم يتحدثون لغة البربر الذين يسمونها (أرضنا) وأنهم يفخرون بقدم لغتهم ويدعون أن نوحا كان يفضل الحديث بها عن أية لغة أخرى، وأنهم لا يفهمون اللغة العربية إطلاقا، وأنهم لا يعرفون شيئا عن الإسلام، وراء بعض إطلاقا، وأنهم لا يعرفون شيئا عن الإسلام، وراء بعض العبادات، ولكنهم مع ذلك يتمسكون بهذا الدين كثيرا[1].

4-الدخلاء:

أ- **اليهود:** يتوافدون إليها من كل مكان و كانت أولى الموجات اليهودية قدمت من اسبانيا وعرف هؤلاء المهاجرون باسم "راشباط" وقد حصلوا على اذن الهجرة من خير الدين باشا الذي سمح لهم بالإقامة في المدينة،[2]ذكر شالر أن عددهم يتراوح بين 5000 نسمة في مدينة الجزائر يتمتعون بحرية تامة في ممارسة عقائدهم الدينية، وهم يخضعون لقوانينهم الدينية في الأحوال الشخصية، ويتولى إدارة شؤونهم رئيس من أبناء الطائفة يعينه الداي، وبوصفهم رعايا جزائريين يتمتعون بحرية في التنقل والإقامة حيث يرغبون ويمارسون المهن التي يرونها في حدود القانون في جميع أنحاء المملكة، واليهود غير قابلين للاسترقاق.

[1]- وليام شالر، المصدر السابق، ص 123.

[2]- عزيز سامح التر، **الاتراك العثمانيون في شمال افريقيا**، تر: محمود علي عامر، ط 1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1989، ص 458.

وقد كان اليهود يدفعون الجزية وضعفي الضرائب الجمركية المستحقة على جميع أنواع البضائع المستوردة من الخارج، كما كانوا يمارسون جميع فروع التجارة، ويحتكرون في هذا البلد السمسرة وأعمال المصارف وتبديل العملة والحكومة لا توظف سوى اليهود لصك النقود.

والجدير بالذكر أن هذه الفئة كانت محرومة من بعض الحقوق، حيث كانت تتعرض للاضطهاد، فإن اليهود غير مسموح لها بمقاومة أي نوع من العنف الذي يمارسه مسلم عليهم، وهم مجبرون على لبس ثياب بيضاء أو سوداء وغير مسموح لهم بركوب الخيل أو حمل أي نوع من السلاح ويوم السبت والأربعاء هما اليومان الوحيدان الذي يسمح لليهود الخروج فيهما.

ومنصب رئيس الطائفة اليهودية إنما يحصل عليه صاحبه بالرشوة والتآمر، وهو يمارس وظيفته بقمع واضطهاد ما يساوي ما ينفقه من المال والجهد للاحتفاظ به، لذلك وصلت بعض الشركات اليهودية في أوقات الرخاء في الايالة إلى قمة الثروة والرفاهية، وحسب شالر أن الطائفة اليهودية في الجزائر تشكل واحدة من الطوائف الأقل حظوظا وثروة في العالم، ويهود الجزائر من جنس متين البنية حسن التكوين والبشرة، ولكن حياة الذل التي ولدوا فيها تترك في وجوههم آثارا تميزهم عن غيرهم.

أما يقدر عددهم في الجزائر حوالي ثلاثة آلاف نسمة.[1]

وفي هذا المضمار نجد أن المؤرخ أبو قاسم سعد الله يشير أن الجالية اليهودية كانت قوية خلال العهد العثماني والتي كانت تعيش في أهم المدن وخاصة مواقع الأقاليم ومدينة الجزائر نفسها[2]، وهذه الجالية تقوت بهجرة يهود الأندلس مع المسلمين، وقد جاء بعض يهود أوروبا إلى مدينة الجزائر في القرن الثامن عشر، واستوطنوها مثل عائلتي بوشناق وبكري[3]،

[1]– وليام شالر، المصدر السابق، ص ص 89–92.

[2]– أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي 1500–1830**، ج1، ط1، د.غ.إ، بيروت، لبنان، 1998، ص 151.

[3]– المرجع نفسه، ص 152.

حيث أنهم كانوا يشكلون ملة غير إسلامية معترف بها، وخلال عهد الدايات كان اليهود يستعملون للتعامل بكثير من الأعمال التجارية للدولة وللقيام بالمفاوضات مع التجار الأوروبيون، وقد كان اليهود من ناحية أخرى وضعية على حدة من حيث السكن والملبس بالنسبة لجيرانهم[1].

كما ارتفع شأنهم الاقتصادي من خلال بيع وشراء الغنائم البحرية[2]، وأيضا احتكارها صناعة المجوهرات وكانت لهم حوانيت يبيعون فيها الأقمشة والخردوات[3]، وكذلك ممارسة عدة نشاطات حرفية أخرى كالخياطة والزجاجة، وبوجه خاص العطارة حيث وجد سوق العطارين[4].

ورغم وجود عدة فئات أجنبية مسيحية في الجزائر إلا ان الجالية اليهودية ارتفع شأنها لأنهم كانوا يقومون بدور الوساطة في كل العمليات التجارية إلى درجة أنه أصبح من الصعب على أي عربي أن يبيع دجاجتين بدون وساطة مأجورة من أحد اليهود[5].

ونجد أن يهود مدينة الجزائر اكتسبوا عادات وتقاليد الأهالي، واتخذوا الثقة العربية كأداة تعبير في معاملاتهم اليومية وطقوسهم الدينية، واحتفوا بانتصارات الجزائريين على الإسبان، ومما ساعد على اندماج اليهود في الحياة العامة بالمدن الجزائرية ثقة الحكام الأتراك فيهم، وتفضيل الأندلسيين التعامل معهم لكون أغلب اليهود ذوي أصول أندلسية، ويتشابهون معهم في طرق العيش وأسلوب الحياة، وفي أواخر العهد العثماني طرأ على اليهود عدة تغيرات وذلك بعد حلول يهود ليفورن والموانئ الأوروبية الأخرى بالجزائر وبعد زيادة اتصال تجار اليهود بالبلاد الأوروبية، فأصبحوا يعيشون في عزلة عن باقي السكان،

[1]– وليم سبنسر، المرجع السابق، ص ص 100–101.

[2]– مؤيد محمود حمد المشهداني، المرجع السابق، ص 427.

[3]– صالح عباد،المرجع السابق، ص 362.

[4]– أمين محرز، المرجع السابق، ص160.

[5]– عمار بوحوش، المرجع السابق، ص 75.

وقد قام الأهالي بعدة انتفاضات ضد اليهود وذلك للحدّ من تزايد نفوذهم، وتضخم ثرواتهم وإحباط تواطأ الحكام معهم[1].

ب- القناصل:

إن وجود القناصل الأجانب بإيالة الجزائر مرتبط بمهامهم الدبلوماسية لبلدانهم ولعل إقامتهم بالجزائر لا يتصلون بالسلطان التركية أو بالأهالي، إلا بوصفهم قناصل ومجتمع القناصل والوكلاء إنما يتكون منهم وحدهم، كما يتصف القناصل الدول الأجنبية أنهم رجال أذكياء ومن ذوي المكانة والشرف، ويعرفون أدق أسرار حكومتهم وطريقة معيشتهم تتصف بالبذخ والأناقة، ولكنها خالية من الشكليات والمظاهر التي تضايق الآخرين[2].

كما كانوا يعيشون في معزل عن باقي السكان ولا يخضعون للمعاملات المالية والأحكام القضائية المعمول بها في البلاد إذ كانوا يتعرضون إلى غضب الحكام واستبدادهم عند توتر العلاقات مع دولهم في بعض الأحيان وكانوا يقيمون في أحياء منعزلة في ضاحية باب الوادي أو خارج باب عزون أو في المرتفعات المشرفة على المدينة[3].

حيث كانوا يسددون مقابل سكنهم كل سنة مبالغ مالية لأصحابها، حيث لمم يكن هناك مقرات يأوي إليها الأجانب وكان ذلك في صالهم وذلك لقول العالم الألماني ج.أوهابنسترايت: "أقمنا مدة مكوننا في الجزائر عند السيد بلاك الذي عاملنا بكل أريحية والكرم المعود لدى مواطنيه الانجليز ونفس المعاملة لمسناها لدى القناصل الآخرين الذين حصلنا إليهم رسائل في شأن رحلتنا، حتى أننا لم نلمس في مدينة الجزائر مع من تعامكما نجد أن شالر أشار إلى بعض الفئات لم يسبق وأن تحدثت عنها المصادر الأخرى سواءا المحلية أو الأجنبية، فقد تحدث عن سكان المور (Moors) وهو اسم عام لجميع سكان

[1]- ناصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص ص 103-104.

[2]- وليام شالر، المصدر السابق، ص ص 105-106.

[3]- ناصر الدين سعيدوني و الشيخ المهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص 105.

المغرب الأقصى وبلاد البربر، فهم يشكلون أغلبية سكان المدن في الجزائر، فهم عبارة عن خليط من السكان الإفريقيين الأصليين والعرب والمهاجرين من الأندلس، وهم يتغيرون ويتطورون باختلاطهم بالأتراك والإفريقيين الذين يسكنون في الداخل بالمصاهرة والزواج، وهذا العنصر يفقد خصائصه البدائية بإقامته في المدن حيث تتغير عاداته ولغتهم هي لهجة محرفة عن العربية الفصيحة وهم يدينون بالإسلام، وبالرغم من أنهم ينتمون إلى عدة أجناس، فهم يشكلون شعبا له شخصية قومية متميزة، وهم يشبهون الشعب البريطاني شبها قويا، كما يتمتعون بالروح الخلاقة والشخصية المنوعة الجوانب[1].

إلى جانب هذه الفئة فقد تحدث من العرب: الذين يقطنون السهول ويسكنون في الخيم، وهم دائما يغيرون محل إقامتهم تبعا لفصول السنة ولتوفر الكلأ لحيواناتهم وأخلاقهم من النوع السائد في مناطق البدو والرحل وهم بدون شك يتمتعون بفضائل أجدادهم الآسيويين كما يحملون رذائلهم أيضا، والسؤال عن مدى اختلاطهم بسكان السهول موريتانيا الرومانية التي فتحوها واستولوا عليها، فهم يتحدثون اللغة العربية، ويعتنقون الإسلام وملامحهم وأخلاقهم وسلوكهم وعاداتهم هي نفس ملامح العرب الآسيويين، والعرب تابعون للحكومة الجزائرية وهم في حالة شبه مستقلين ويخضعون لسلطان شيوخهم و قوانينهم الخاصة، ومتى وجد العرب أن استبداد الباي وطغيانه لا يطاق، يحلون إلى منطقة إدارية أخرى أو إلى الصحراء حيث لا تصل إليهم يد السلطة وبهذه الطريقة خلت من سكانها كلية تقريبا[2].

وزيادة على ذلك فنجد أنه أشار إلى بعض الفئات البرانية والتي لم يشير إليها كتاب قبله منها فئة التوارق والشاوية والتي سبق ذكرها في الأعلى، ومن جهة أخرى نجد أن شالر قد أغفل عن ذكر بعض الفئات المهمة والمشكلة للتركيبة الاجتماعية ألا وهي فئة الحضر: والتي تحدثت عنها الكثير والعديد من المصادر التاريخية حيث تتشكل هذه الطبقة "الحضر"

[1]- وليام شالر، المصدر السابق، ص ص 107-108.

[2]- المصدر نفسه، ص ص 108-109.

أو "البلدية" من المجموعات السكانية القاطنة بالمدن تعود في أصولها إلى الفترة الإسلامية وما صنع إليها من أندلسيين وأشراف، وقد تميز الحضر بعاداتهم وتقاليدهم الخاصة وبوضعهم الاجتماعي المميز والراقي[1]، وكانت كلتا الطبقتين تعيشان من ثمار تجارتهما أو من الحرف التي يمارسونها[2].

ومن أهم هذه العناصر التي تتشكل منها طبقة الحضر نذكر:

أ- الأندلسيون:

هم فئة حلّت بمعظم المدن الساحلية الجزائرية بأعداد كبيرة من المهاجرين الأندلسيين الفارين من الاضطهاد الاسباني الذين استولوا على أملاكهم وديارهم وهددوهم في عقيدتهم ولغتهم وأشهر المدن التي حلّوا بها: شرشال، تنس، مستغانم، مدينة الجزائر ودلس وبجاية و عنابة و غيرها من المدن الجزائرية.

حيث ساهموا في الحياة الاجتماعية بإدخال عنصرين أساسيين هما: مضاعفة الكفاح ضد الاسبان في البحر والثغور، دفاعا عن النفس، وثانيا ساهموا في نشر أنماط حضارتهم بين الجزائريين[3]. وكانت الهجرة الأندلسية عامل ازدهار اقتصادي وعامل عمراني، ونمو بشري حيث بعثت مدنا من أنقاضها بعد أن أصابها الاضمحلال مثلا: تنس ودلس و جيجل و شرشال. كما أنشأت مدن جديدة كالقليعة والبليدة وطوروا بعض المدن القديمة كتلمسان وأرزيو وعنابة، مع الحفاظ على عاداتهم وتقاليدهم حيث امتازوا برفعة الذوق والملبس[4]،

[1]- ناصر الدين سعيدوني و الشيخ المهدي البوعبدلي، المصدر السابق، ص 97.

[2]- أحمد بحري، المرجع السابق، ص 21.

[3]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 148.

[4]- ناصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص98.

إضافة إلى ذلك كانت لهم خبرة كبيرة في ميادين صناعة الأسلحة والبارود والنجارة وصناعة الخزف، واشتهروا بإنتاج الحرير في مدينة القليعة[1].

ب- الأشراف:

تميزت السلطة وكذلك عند أفراد الشعب[2]، فقد اشتهر أغلب أفرادها بالورع والتقوى، حيث خصهم بعض الدايات بالعطايا والمساعدات مثل: الداي محمد بطاش الذي أوقف لصالحهم بعض الأملاك فلم ينسب إلى الأشراف سوى بعض العائلات التي لم يتجاوز عددها 300 أسرة[3].

وعلى الرغم من الوضعية الحسنة التي كان يعيشها حضر مدينة الجزائر والامتيازات التي منحها إياهم الأتراك إلا أنهم أبعدوا عن السلطة مثل كل الطوائف غير طائفة الأتراك، إضافة إلى ذلك فإن شالر لم يشير إلى بعض الفئات المكونة لفئة البرانية المتمثلة في الجيجليون الذين كانوا بدورهم يشكلون جماعة من جماعات التي وفدت من وطن جيجل يشرف الإيالة والذين حظوا بمكانة خاصة في مدينة الجزائر،وبناءا على العلاقة التي كانت تربطهم بالأتراك[4]، ويرجع ذلك إلى الذين رافقوا الإخوة بربروس عقب استنجاد أهل مدينة الجزائر بهم...ومنذ هذا التاريخ أضحى هؤلاء يحظون بمكانة خاصة ذات امتيازات وذلك لاحتضانهم للإخوة عروج وخير الدين بعد أول اتصال بينهم عام 1512م[5]،وكان أغلبهم يشتغلون "كواشين" (خبازين) وكانت توجد جماعة "الكواشين الجيجلية" تشرف على أفران البايلك المخصصة لإعداد الخبز لليولداش والأسرى[6].

---

[1]- عمار بوحوش، المرجع السابق، ص 75.

2- أحمد بحري، المرجع السابق، ص 30.

3- ناصر الدين سعيدوني و الشيخ المهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص 99.

4-امين محرز ،المرجع السابق،ص155

5- عائشة غطاس، المرجع السابق، ص 22.

6-امين محرز، المرجع السابق، ص 156.

أما الأغواطيون: منهم ينتسبون إلى مدينة الأغواط وإلى قبيلتي الزناجرة وأولاد نايل، وأغلبهم يتولى أعمال متواضعة[1]، فجلهم احتكروا أعمال التنظيف في الشوارع[2]، وتصفية الزيوت، وكانوا ينشغلون بنقل الأوساخ[3].

1- ناصر الدين سعيدوني و الشيخ المهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص 101.

2- حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص 170.

3- صالح عباد، المرجع السابق، ص 359.

المبحث الثاني: حال الأسرى

تعد مسألة الاسرى مسألة مهمة في تاريخ الجزائر العثمانية، حيث وقع منهم عدد لا يعدو لا يحصى خاصة في مدينة الجزائر و الذين مارسوا العديد من النشاطات، رغم المعاملة السيئة التي كانوا يتعرضون لها

1- عدد الأسرى:

نتيجة الصراع القائم بين حكام الجزائر و الدول الأوروبية قد و قع في حوض البحر المتوسط عدد من الأسرى خاصة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني فإننا نجد أن شالر رغم تحدثه عن الأسرى إلا أنه لم يعطي إحصاءا لتواجد هذه الفئة في المدينة، ونظرا لكثرة الغارات و الهجومات والحروب بين الجزائر وقراصنة أوروبا خلال ما يزيد عن ثلاثة قرون فقد قتل الآلاف من الناس ووقع الآلاف في الأسر، حيث تمكن الجزائريون من أسر الآلاف من الرجال والنساء والأطفال، ففي عام 1556 أسر الجزائريون 866 شخصا، وفيما بين 1621-1627 أسر الجزائريون عشرين ألف شخص...الخ فمنهم 867 مالي و300 انجليزي...الخ[1].

وقد كان هؤلاء الأسرى يشكلون الأغلبية من المسيحيين وذلك على اختلاف أجناسهم فهناك منهم: الايطاليون، و الاسبان، والانجليز، البرتغاليون، الفرنسيون، الهولنديون، الإغريق....الخ، لذلك نجد أن المصادر الأوروبية قد بالغت في تقديرها لعدد الأسرى بمدينة الجزائر حيث ذكرت من خلال القرن 17 م تتراوح التقديرات ما بين 200.000 و 60.000 أسير[2]، إلا أن عملية إحصاء الأسرى الأوروبيين بالجزائر تبقى بالعملة الصعبة وذلك يعود إلى فرار الأسرى في العديد من المرات نحو مناطق مملوكة لاسبانيا في شمال إفريقيا، وفي

[1]- يحي بوعزيز، **الموجز في تاريخ الجزائر**،ج2، ط 2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009، ص 198.
[2]- أمين محرز، المرجع السابق، ص 162.

الوقت الذي قدم فيه الباحثين المعاصرين بتقييم عدد الأسرى المتواجدين بالجزائر كون العديد منهم دخل الإسلام وكانوا يلقون بالمرتدين لذلك تحدث الأب دان عن وجود 9500 أسير دخلوا الإسلام بالجزائر[1].

في نفس السياق هناك من ذكر بان عدد الأسرى وصل في سنة 1578 من الفرنسيين والايطاليين والاسبان والمالطيين قرابة 25 ألف أسير، أما في سنة 1635 ارتفع هذا العدد إلى 30 ألفن ومع بداية القرن 18 م يلاحظ تراجع لأعداد الأسرى فمن 10000 إلى 2000 سنة 1738. أما سنة 1750 وصل إلى 7000 نسمة[2].

أما "روبرت دافييس" ذكر أن عدد الأسرى الأوروبيون في الجزائر ما بين 1586-1680 قد بلغ 580 ألف أسير لكن هذا العدد كان يتطلب أسر 8500 مسيحي في السنة، أما أشار إلى وجود عدد الأسرى بين المسلمين بفرنسا أواخر القرن 18م أكثر من 10 آلاف أسير في السنة في المقابل لم يتجاوز عدد الأسرى المسيحيون 1000 أسير في مدينة الجزائر وفي نفس الفترة[3]، لذلك فنجد أن عملية الإحصاء كانت متذبذبة لعدم مركزية الأسرى فالعديد منهم كان يتواجد بمناطق غير مدينة الجزائر مثل: "الأسير تيدنا"، الذي كان يشتغل لدى باي معسكر[4].

---

[1]- بلقاسم قرباش، **الأسرى الأوروبيون في الجزائر خلال عهد الدايات (1671-1830)**، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ،جامعة مصطفى اسطمبولي، (معسكر)، الجزائر، 2015-2016، ص 141.

[2]- بلقاسم قرباش، **دور الكتابات الغربية في تسوية تاريخ الجزائر العثماني**، مجلة رفوف،د.مج، ع4،مخبر المخطوطات الجزائرية في غرب افريقيا، جامعة أدرار، الجزائر، ماي 2014، ص 144.

[3]- بلقاسم قرباش، **الأسرى الأوروبيون في الجزائر خلال عهد الدايات (1671-1830)**، المرجع السابق، ص 143.

[4]- بلبراوات بن عتو، **المدينة و الريف بالجزائر خلال العهد العثماني**،رسالة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية و الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، الجزائر، السنة الجامعية 2007-2008، ص39.

وتفيد الكتابات التاريخية أن هؤلاء المساجين قد توزعوا إلى إفريقيين أحدهما يخدم الحكام في قصورهم، والذي استطاع أن يوفر ثروة مالية طائلة والآخر في قبضة الخوص[1]، لذلك فإن عملية إحصاء الأسرى مجرد أرقام تقريبية بعضها يأخذ طابع رسمي، في حين البعض الآخر يعود لشهادات الأسرى الذين عاشوا بالمدينة ونجد أن عدد الأسرى بالجزائر شهد أوجه خلال القرن 17 م ثم بدأ في الانخفاض تدريجيا[2].

ومن خلال إحصاء الأسرى لدينا الجدول التالي يوضح لنا بعض تقديرات الأسرى المسيحيين في مدينة الجزائر من خلال المصادر الأوروبية.

I.SHOW	1738	2.000أسير
VENTURE DE PARADIS	1786-1787	2.000 أسير
RAYNAL	1788	800 أسير
DEGRAMMONT	1816	1.642 أسير
PROZET	1830	122 أسير

ومن الملاحظ أن عدد الاسرى كان في تناقص، وذلك نتيجة ضعف النشاط البحري فلم يعودوا يتجاوزون في الربع الأول من القرن الثامن عشر، عشرة آلاف أسير يتوزعون على سجون البايلك، وعند الاحتلال الفرنسي لم يكن عددهم يتجاوز العشرين فردا أغلبهم من الجنود الاسبان الفارين من الخدمة العسكرية[3].

[1]- بلقاسم قرباش، المرجع السابق، ص 143.

[2]- حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص 73.

[3]- ناصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص 104.

2- المعاملة:

لقد تحدث شالر عن سوء معاملة هؤلاء الأسرى على الرغم من أن استرقاق المسيحيين قد ألغي منذ 1816م، إلا أنهم كانوا يعتبرون عبيدا للايالة[1]، ونجد العديد من المصادر كانت تشير أنهم كانوا أرقاء في كامل أراضي الدولة العثمانية بينما الدولة العثمانية كانت تعتبرهم أسرى حرب[2]، ما أكده شالر حيث قال: "أن السلطات الايالة دائما كانت تحميهم من الأذى وسوء المعاملة الأهالي."

وقد رسمت أغلب المصادر الأوروبية عن قصد صورة قاتمة لوضعية الأسير المسيحي في مدينة الجزائر[3]، حيث أن الحرية الدينية كانت معدومة في الجزائر، كان يفرض على المسيحي الدخول في الإسلام مقابل امتيازات كبيرة، في حين أن الباقين على دينهم و مسيحتيهم كانوا يشتغلون في كل الأعمال المنحطة إلى غاية الهرب أو الموت أو افتدائهم.

في حين يفند أحد الكتاب الأوروبيين هذه الادعاءات بقوله: "لقد كان للأسرى المسيحيين الحرية في تأدية عباداتهم الدينية حيث كان يوجد بمدينة الجزائر 3 معابد مستعملة خاصة من طرف الأسرى لأنه بالنسبة للمسيحيين الآخرين والذين يريدون الاستماع للقداسة اما الحضور لدى القنصل في شقة بعض القساوسة"، وهذه الشهادات نجدها مناقضة لما جاءت به مصادرهم والتي تتمحور في غالبها حول العبودية والاضطهاد والمعاملات اللاإنسانية[4].

[1]- وليام شالر، المصدر السابق، ص 99.

[2]- حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص 69.

[3]- وليام شالر، المصدر السابق، ص 100.

[4]- بلقاسم قرباش، **دور الكتابات الغربية في تشويه تاريخ الجزائر العثماني**، المرجع السابق، ص 146.

أما بخصوص معاملة الأسرى، تحدث شالر عن معاناتهم، وذلك من نزوات ملاكهم ومن سوء معاملة حراسهم، لكنهم كانوا يخضعون لقانون كوني عام وهو أنه يجد نفسه في قيد أسر ويكون قد جرد من وسائل الدفاع عن نفسه وحرم من أي نوع للحماية[1].

وهناك من ذكر أن وضعهم يختلف من أسير إلى آخر إلا أن وضعهم عموما كان أحسن بكثير من وضع الأسرى المسلمين في الدول الأوروبية، فعند وصولهم يقوم الداي بأخذ نصيبه فيختار العناصر التي تتمتع بحرفة معينة أو ذات مكانة اجتماعية حتى يجني مبالغ كبيرة، أما المؤرخون يعرضون للبيع على الخواص[2]،و مما يفسر ما تطرق إليه شالر عن فضائع سوق النخاسة التي أحدث ضجة كبيرة في العالم: وذلك لأن الأسير الذي يقع في يد القراصنة انما هو ملك للحكومة التي قلما تبيعه وبالتالي من أندر الأشياء أن يعرض مسيحي للبيع في أسواق النخاسة[3]،وهناك من ذكر أيضا أنه تم بيعهم في المزاد العلني وحددت قيمة كل واحد منهم حسب سنه وقوته العضلية ومظهره الخارجي[4]، ولعل الأرقام التي بين أدينا تبين لنا تنوع جنسيات الأسرى بسوق النخاسة بمدينة الجزائر 1799-1800[5].

[1]- وليام شالر، المصدر السابق، ص 100.

[2]- أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 139.

[3]- وليام شالر، المصدر السابق ، ص 100.

[4]- ج.أوهابنسترايت، المصدر السابق، ص 44.

[5]- حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص 69.

البلد	عدد الأسرى
جنوة	95
النمسا.	41
فرنسا	64
اسبانيا	193
البرتغال	95
سردينيا	4
رومانيا	4
اليونان	377
كرسيكا	25
مالطا	77
بروسيا	72

وفي هذا النحو قال كاثكارت: "كنا نعامل معاملة تتسم بالوقاحة والقسوة المتناهية"[1]. وتحدث بفايفر: "أما طعامنا فإنه لم يكن من النوع الذي يفرض علينا أن نشكو من الجوع، فقد كانت فضلات المطبخ كلها لنا، وهناك كثرة للحشرات وللجرذان والثعابين[2].وفي الليل كانوا يجبرون على النوم من ممرات مفتوحة معرضين لكل قسوة الفصول[3].

كما أشار إلى الأسيرات اللواتي كن يعاملن باحترام الذي يفرضه جنسهن، أما الأشغال التي كان يطلب إلى الرجال القيام بها لم تكن مفرطة المشقة، وكان الأسرى الذين يجدون

[1]– كاثكارت ، المصدر السابق، ص26

[2]– سيمون بفايفر، المصدر السابق، ص16

[3] –pananti , op cit, p122

كفيلا لهم يضمن هروبهم كان يسمح لهم بالخروج إلى حيث يريدون مقابل دفع مبلغ 75 سنتيم في الشهر[1].

3- المعيشة:

بالنسبة لحياتهم اليومية فقد كانوا يقضون نهارهم أحرارا وذلك مقابل دفعهم مبالغ مالية كل شهر، ليطلب منهم في المساء التوجه إلى مقراتهم التي لم تكن مريحة بالنسبة لهم، كما نجد الأسرى الأوروبيون بالجزائر كانوا يتمتعون بحرية الحركة والعمل أثناء النهار وقضاء الليل بالسجون عامة[2].

إضافة إلى ذلك كان الأسرى يصنفون حسب مهنهم فيشكلون مجموعات منها: الحرفيون، الملاحون، الحمالون، المكلفون بالأشغال العامة، وكان الحرفيون أمثال لحدادين والبنائين والنجارين وصانعي الأشرعة يتوجهون في الصباح إلى الورشات لأداء أعمالهم، أما أولئك الذين لا يملكون حرفة ينقسمون إلى فرق ويكلفون بالقيام بمختلف الأشغال العمومية[3].

واشتغل الكثير من الأسرى في صناعة بعض الألعاب الخشبية واكتراثها للأطفال، إضافة إلى بيع التبغ والمشروبات الكحولية، وبهذا يزود الأسرى أنفسهم بالقليل من المال للتغلب على مصاعب الحياة، كما يمكن للأسير أن يشتغل في مزارع سيده[4].

[1]- وليام شالر، المصدر السابق، ص99

[2]- ج. أوهابنسترايت، المصدر السابق، ص 46.

[3]- أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 141.

[4]- بلقاسم قرباش، **الأسرى الأوروبيون في الجزائر خلال عهد الدايات (1671-1830)**، المرجع السابق، ص 229.

4- الفداء:

كانت الحرية هي الشغل الشاغل للأسرى حيث كان يعمل هؤلاء ما بوسعهم من أجل الوصول أو شراء بأي ثمن ما يسمى بالحرية، وذلك ينقسم دون أي وساطة، خاصة أولئك الذين يملكون مناصب أو يشتغلون في مراكز مرموقة، في حين أن الآخرون قامت منظمات تابعة للسلطة وأخرى للكنيسة بالتكفل بمصاريف تحريرهم[1]، كما أن رحلة الفداء تتطلب إجراءات صعبة فلا بد من الحصول على وثيقة "الجواز" الرسمية إضافة إلى ذلك يدفع الأسرى الذين تم فداؤهم أربعون قرشا[2].

ومن الملاحظ أن مبالغ الفدية كانت غير ثابتة، حيث تختلف من فترة لأخرى فحسب حالة الأسير الاجتماعية وكذلك الصحية، ففي سنة 1541 أكد ديغرامون أنه بعد حملة شارل الخامس ضد الجزائر بيع العبد ببصلة كدليل على انخفاض أسعار الأسرى[3]، حيث عملت الجزائر خلال القرنين 17م و 18م على إبرام معاهدات سلم والصداقة وتقديم امتيازات في المجالات الاقتصادية والقنصلية وقد نجحت في هذه السياسة لأبعد حد[4].

[1]- بلقاسم قرباش، المرجع سابق، ص 229.

[2]- حنيفي هلايلي، المرجع سابق، ص 229.

[3]- المرجع نفسه، ص 76.

[4]- بلقاسم قرباش، المرجع سابق، ص 206.

المبحث الثالث: العبيد السود

يعتبر العبيد السود من الزنوج ذو الأصول الإفريقية من بلاد السودان حيث تعرض بعضهم لمعاملة سيئة من طرف أسيادهم من خلال بيعهم و التجارة بهم،كما مارسوا العديد من النشاطات خلال تواجدهم بالمدينة.

1- أصولهم:

هناك من ذكر أن أصول أغلبهم تعود إلى بلاد السودان الغربي حيث كان الجلابة يقومون بشرائهم ونقلهم في القوافل الصحراوية إلى الشمال[1]. حيث كان عددهم كبير حيث شكلوا شريحة هامة، حيث كان عددهم كبير حيث شكلوا شريحة هامة من جماعة البرانية[2]، فحسب عائشة غطاس كان يصل إلى مدينة الجزائر سنويا، ثلاثون عبدا من ورقلة وخمسة عشر من تقرت بمقتضى الاتفاق الذي مع شيوخ المنطقة[3].

في نفس هذا المضمار قال وليام شالر بصددها "هم يشكلون جزء آخر من السكان مع أنه صغير، فهؤلاء في الأصل من العبيد الذين اشتراهم أسيادهم من داخل القارة أو من طرابلس ولكنهم سرعان ما يحصلون على حريتهم باعتناقهم للإسلام"[4]،كما اشار إلى التفرقة العنصرية التي كانت موجودة في الجزائر مثلما كانت في الولايات المتحدة الأمريكية والسبب في ذلك يعود إلى انحدار السود من أصل العبيد[5].

---

[1]- امين محرز، المرجع السابق، ص158.

[2]- ياسين بودريعة، **الثروة والفقر بمدينة الجزائر أواخر العهد العثماني (1786-1800)**، دراسة اقتصادية ومقاربة اجتماعية من خلال دفاتر الشركات، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر2 ، السنة الدراسية 2016-2017، ص 74.

[3]- عائشة غطاس، المرجع السابق، ص 32.

[4]- وليام شالر، المصدر السابق، ص 92.

[5]- المصدر نفسه ، ص 93.

2- حياتهم في المدينة:

عندما نتطرق إلى حياة العبيد وممارساتهم في مدينة الجزائر، فقد ذكر تحدث شالر عن وجود عدد من المناصب العليا التي كان يشغلها (هؤلاء) الذين كسب كثير منهم ثروات طائلة من ورائها، بحيث نجد العبيد الموظفون في القصر أو الملحقون بالشخصيات البكيرة يعاملون بأقصى اللطف' بالإضافة إلى أنهم كانوا يختارون في مهمات داخل القصر وحوله، والبقية يرسلون إلى الخدمة العمومية ويستطيعون تحصيل القليل من المال من أصدقائهم وأن يستدينوا من اليهود مقابل فوائد فاحشة مثل: يسمح لهم بإدارة حانات لذلك يدفعون مما زاد مداخلهم وجعلهم يشترطون حريتهم[1].

ويمكن القول أن السودانيين (العبيد) في الجزائر كانوا يعيشون بين الأهالي في حرية تامة ويتمتعون بنفس الحقوق بعد اعتناقهم الإسلام وكانوا مندمجين في المجتمع، ويتكلمون اللغة العربية حيث كان لهم دور ثانوي طوال فترة الحكم العثماني كما يتمتعون بنفوذ واسع[2].

ولعل من الأعمال التي كان يقوم بها العبيد أنهم كانوا يخدمون في بيوت الأسر الميسورة، والتي كانت حريصة على امتلاك عدد كبير منهم وخصوصا الماء حيث يتضح من دراسة دفاتر بين المال أن العنصر النسوي طغى على تشكيلة العبيد[3]، إضافة إلى ذلك كانوا يشتغلون في المكاتب والمطابخ وفي مخازن القصر ورؤساء الطباخين هم الذين يشرفون على جميع أنواع النشاط الذي يقوم به العبيد المسيحيون[4].

و بهذا الصدد يؤكد شالر أن لهذا العبد ميل إلى الحركة، والعمل بجد هي الوسيلة لكسب رزقه وباختصار فإنه وهناك من العبيد من يغادر الجزائر وقلبه مفعم بالأسف والكثير

---

[1]- وليام شالر، المصدر السابق، ص100.

[2]- جيمس ويلسن ستيفن، المرجع السابق، ص 261.

[3]- أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 111.

[4]- أمين محرز، المرجع السابق، ص ص 157-158.

منهم يحملون أموالا طائلة عند المغادرة، بالرغم من أن العبيد كانوا يعانون نزوات ملاكهم ومن سوء معاملة حراسهم لكنهم يخضعون لقانون كوني عام[1]، وهناك من يرى أنهم كانوا يعاملون معاملة حسنة لدرجة أن العبد يصبح فردا من أفراد الأسرة المالكة[2].

3- تجارة العبيد:

أما بخصوص تجارة العبيد ، قد تحدث شالر عن أسواق النخاسة التي سبق وأشرنا إليها، والتي أحدثت ضجة في العالم حيث قيل عنها الكثير، وهي اتهامات لا أساس لها من الصحة، حيث ذكر أنه من أنذر الأشياء أن يعرض مسيحي البيع في سوق النخاسة، ومع ذلك يجب الاعتراف بأن التنازل عن العبد بطريقة الهبة قد يؤدي إلى عرض عبد مسيحي في السوق وأنه حدث أكثر من مرة أن يبيع مسيحي اليهودي وأعاد اليهودي بيعه لكنها حالات نادرة جدا[3].

وتشير بعض المصادر إلى أن الداي علي خوجة اشترت سنة 1817م عددا من هؤلاء العبيد السودانيين ومن الخواص وكان سعر كل واحد منهم 100 بوجو، وورث في بيان العبيد أسماؤهم وأصلهم وأوصافهم مثل: السن، اللون...الخ ومن بين هؤلاء العبيد الذين اشتراهم الداي هنالك الزنجي والأبيض[4]، وهنالك من ذكر أنهم كانوا يباعون داخل البلاد، ويخضعون لأعمال شاقة وان لم يقدموا خدمة كافية للمواد التي عهد إليهم القيام بها فإنهم سيضربون فالبعض منهم يمشي في حقول حافي القدمين حيث يرعى الأغنام[5].

[1]- كاثكارت، المصدر السابق، ص 25.

[2]- وليام شالر، المصدر السابق، ص 100.

[3]- المصدر نفسه، ص ص،101-100.

[4]- أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 109.

[5]- جيمس ويلسن ستيفن، المرجع السابق، ص ص 62-63.

الفصل الثالث

الحياة الاجتماعية لمدينة الجزائر .

- الحياة اليومية
- أحوال النساء
- العادات و التقاليد

تمهيد:

تميزت الحياة الاجتماعية لسكان مدينة الجزائر خلال العهد العثماني بطابع خاص من خلال طريقة عيشهم التي ميزت المجتمع وطغت عليه بعاداتها وتقاليدها التي تجسدت في الأعياد وحفلات الختان.....الخ بالإضافة إلى مختلف المرافق الاجتماعية كالأسواق والمقاهي والحمامات فهي تعتبر من الأماكن التي يقصدها عليه الرجال من أجل قضاء وقتهم، أما المرأة التي لعبت القيام بالعديد من الممارسات والأنشطة الحرفية إضافة إلى دورها التربوي والرعاية في المنزل.

المبحث الأول: الحياة اليومية.

يتضح لنا من خلال استقراء الكتابات التاريخية يتبين لنا بان الحياة الاجتماعية لدى سكان مدينة الجزائر أواخر العهد العثماني اتسمت بطابع خاص من حيث طريقة عيشهم التي ميزت المجتمع من حيث اللباس والطعام ..الخ، كما اشتهرت المدينة بأمنها الذي اشاد به العديد من المؤرخين سواء الأجانب أو المحليين مما يلي:

1- الحفاظ على الأمن والاستقرار للمدينة:

كانت المحافظة على الأمن من الاهتمامات الرئيسية للسلطات العثمانية في مدينة الجزائر، حيث كان أمن المدن هو الهدف الأساسي للعديد من الموظفين والمؤسسات والطوائف في مدينة الجزائر كما في باقي المدن الإسلامية[1]."وذكر شالر أنه لا توجد مدينة أخرى في العالم يبدي فيها البوليس نشاطا أكبرا مما تبديه الشرطة الجزائرية"[2].

أما التنظيم كان ساريا بمدينة الجزائر حيث تؤكد الوثائق بوجود منصب سوباشي الذي أسند إلى أعضاء الجيش الانكشاري ووجد موظف آخر وهو "قول آغا" و"آغا القل" وهو مدير الشرطة وهو الذي تمثلت اختصاصاته مراقبة للحمامات ومنازل الدعارة[3].

وحسب شالر فالشرطة لم تكتفي بهذه المهام فقط بل كانت لها مسؤولية جمع الضرائب ويستحوذون على كل ما يقع تحت أنظارهم من أموال الشعب مما جعل الناس يهجرون البلد بسببهم[4].

وهناك من ذكر أنه كان يشرف على نحو 40 شخص مكلفين بالشرطة الداخلية للمدينة

---

[1]- حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص 92.

[2]- وليام شالر، المصدر السابق، ص 77.

[3]- عائشة غطاس، المرجع السابق، ص 106.

[4]- وليام شالر، المصدر السابق، ص 59.

أثناء الليل ويخضع للخزناجي مباشرة[1]، وهو الذي كان يشرف على الرقابة العامة للشرطة النهارية، بينما يقوم المزوار بدور الشرطة الليلية ويساعده قائد زواوه وكان قائد الفرقة من العنصر التركي ومن مهامه في المدينة أيضا المحافظة على أمن المدينة والسهر على سلامة المواطنين ليلا ونهارا[2].

وعند حديثنا عن الأمن لا بد أن نذكر القضاء الذي تميز بالازدواجية منذ ارتباطها بالخلافة العثمانية لذلك نجد القاضي أصبح يلعب دورا هاما في الجزائر خلال العهد العثماني[3].بحيث نجد أن القضاء كان يعالج الجرائم والسرقة والقتل وقطع الطريق والزينة والخيانة، وهناك جرائم يعاقب عليها بالموت، والتركي الذي يخنق سريا إذا ارتكب جريمة سياسية، أما اذا ارتكب جريمة من الأهالي فإنه يشنق في ساحة عمومية بقطع رأسه أو يلقى به من على سور مرتفع، هذا حسب ما صرح به القنصل شالر[4].

كما صرح القنصل الفرنسي فالبير بأن نظام الجزائر كانت تطبعه الصرامة بحيث شهدت مدينة الجزائر الهدوء وعاش المواطن راحة واطمئنان ولم تشهد اضطرابات أو قلاقل والاغتيالات تكاد تكون منعدمة وهو الشيء الذي وفر الأمن والراحة للمواطن في منزله[5]، ومن جهة أخرى صرح شالر بأن المجرم إذا كان يهوديا اما أن يقطع رأسه أو يشنق أو يحرق حيا ومنذ أن ألغي استرقاق المسيحيين أصبحت الأشغال الشاقة أكثر أنواع العقاب بحيث توفر أعمالا دون مقابل، كما ذكر شالر أنه في الجزائر يفضل معاقبة شخص بريء بدلا هروب المجرم وهذا هو النظام المعمول به على عكس النظام الشائع في أي

[1]– عائشة غطاس، المرجع السابق، ص 106.

[2]– حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص، ص 86–92.

[3]– المرجع نفسه، ص 83.

[4]– وليام شالر، المصدر السابق، ص 46.

[5]– حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص 85.

مجتمع[1]،وذكر روزي أنه كان ممنوعا على جميع الرجال الخروج إلى الشارع بعد الساعة الثامنة مساءا باستثناء الأتراك إلا في شهر رمضان[2]، وأشار القنصل الفرنسي فالبير أن مصابيح المدينة كانت تنير خاصة قليلا وتغلق الشوارع تقريبا بباب وهو الشيء الذي وفر الأمن والراحة للمواطن[3]، وبمجرد خروج شخص ما إلى الخارج بعد الثامنة تم تطبيق ما يصل إلى 500 ضربة بالعصا على باطن القدمين، ما لم يكن يفضل دفع مبلغ معين وإذا رفض تم وضعه في السجن ليخرج في اليوم التالي[4].

ونظرا لهذه المجهودات الى ان تكاليف القضاء فهي متواضعة حسب شالر لأن الحكومة مصممة على أن يكون العدل من حق الجميع في كل الحالات مما لها تأثير كبير على استقرار الأمن وما ينجم عنه الطمأنينة في الجزائر[5].

1. اللباس:

لقد تأثر المجتمع الجزائري بكل المؤثرات العثمانية و التركية الاناضولية، وبالخصوص اللباس [6]، بحيث تعد الملابس هي المرآة الحقيقية لحضارة أي مجتمع فهي تعبر فعلا عن نمط معيشة الأفراد و أوضاعهم الاجتماعية و الاقتصادية في فترة معينة، و هي خير دليل يوحي بانتماء الأفراد الى أي من الطبقات الاجتماعية و مستوى معيشتهم فقد ورد في الأدبيات الأجنبية حديث مفصل و مطول عن اللباس الجزائري في العهد العثماني[7]

---

[1]– وليام شالر، االمصدر السابق، ص 47.

[2]–M.rozet, **voyage dans la régence d'alger ou discription du pays occupé par l'armé française en afrique** ,arthurbretard libraire éditeur, paris, 1833, p 111.

[3]– حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص 85.

[4]–M. rozet, op. cit, p 111.

[5]– وليام شالر، المصدر السابق، ص 49.

[6]– وليم سبنسر،ا لمرجع السابق، ص 102.

[7]–ليلى خيراني، **واقع النساء في مجتمع مدينة الجزائر في العهد العثماني 1800–1817** ، د.ط، دار الامل للطباعة و النشر و التوزيع، تيزي وزو، الجزائر،2016 ، ص 156.

فجميع ملابس الجزائريين المسلمين كانت فضفاضة للغاية وقميص كبير مصنوع من الكتان وإذا كان الجو باردا يضعون سترة صفائح ملونة لا تتجوز أكمامها الكوع ،اما بالنسبة للمسلمين الذين لديهم عادة الوضوء المتكرر كانوا يصنعون أكمام ملابسهم حتى يتمكنوا من خلع أدرعهم حتى الكوع،دون خلع ملابسهم[1]، فلباس الجزائريين عامة حسب ما ذكر شالر، كان يتكون من عدة قطع فبعضها بأكمام و البعض الأخر بدونها، وكان مفتوح في الصدر و مزين بأزرار و زخارف، أما السراويل الفضفاضة كانت تصل حتى ربلة الساق[2]،

فلقد تنوعت ملابس المرأة الجزائرية في العهد العثماني حسب مكانتها الاجتماعية و حالتها المادية ، و هذا ما أضفى على ملابسها طابعا مميزا فمثلا: كانت تفضل المرأة الحضرية الأندلسية ،ملابس الترف لتظهر أمام النساء الأخريات أكثر أناقة و أحسن مظهر فلقد خصصت لكل نوع القماش الملائم له ،ففي فصل الشتاء تلبس الجوخ و القطيفة وفي فصل الصيف تعوض الأقمشة الخشنة بأقمشة خفيفة مثل الحرير، ولم تتخلى أبدا عن حليها وزينتها المتمثلة في أقراط و قلائد وأسوار سواء كانت ذهبية أم فضية ،ذلك كان حسب وضعية كل امرأة و هذه الملابس عبارة عن سترات مختلفة الأنواع قصيرة و طويلة و تتمثل في الغليلة[3] و القفطان[4] و الكاراكو .و غيرها [5]

---

[1]–f. de haedo, diego, **topographie et histoire général d alger**,imprimé a valladolid, trad, de l espagnol monnerau et burbrgeur, 1870, p94.

[2]– وليام شالر، المصدر السابق، ص83

[3]–الغليلة: هي سترة مفتوحة من الأمام لا تغلق إلا في ناحية البطن بواسطة أزرار مصنوعة من الحرير او الذهب، بها أكمام عريضة تمنع ظهور أكمام القميص و تشد في ناحية النطاق بفوطة من الحرير تربط من الأمام وتتدلى حولها لتصل الى الأرض، ينظر: شريفة طيان، **ملابس المراة بمدينة الجزائر في العهد العثماني**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر، السنة الجامعية،1990–1991.

[4]–القفطان: هو من السترات التي تعتبر لباس الفخامة أصله تركي مصنوع من الحرير المطرز و يصنع من القطيفة خاصة، ينظر: ليلى خيراني، المرجع السابق، ص 147.

[5]–شريفة طيان، المرجع السابق، ص ص 145–146.

فكل هذه الملابس كانت ترتديها المرأة الحضرية[1] في المناسبات بحيث تكون فوق بعضها البعض إضافة الى ذلك كانت تضع حزاما من الحرير متعدد الألوان و مزود مخمل من ذهب يربط من الجهة اليسرى [2]

بالإضافة إلى ذلك كانت النساء تلبس الفرملة بشكل شائع وهي اللباس ذو الحزام والمفتوح عند الصدر ومعطف، أو أكثر بأكمام قصيرة مع أو إلى جانب ألبسة داخلية تتدلى على سراويل مطلوقة، عندما يكن في المنزل ولما يخرجن للحياة العامة يضعن ثوبا مزركشا من ثلاث طبقات طوله يميل إلى الركبة ثم يأتي سروال عريض وفوق الكل الحايك الأبيض، ويتجبن حتى عيونهن[3].

ونجد أن لباس المرأة في الجزائر العاصمة ليس نفسه بالنسبة لجميع أحاديثها (القبائل أو العربيات) حيث ترتدي جميع النساء الجزائريات على رؤوسهن نوعا من غطاء الرأس حيث يضعن على شعرهن ومصنوع من القماش باللون الأصفر أو الأحمر أو الأخضر، كما ترتدي النساء من أصل تركي فوق قمصانهن طويل جدا وواسع ومطرز بالحرير حول الرقبة والأكمام فستان طويل يسقط منتصف الساق وهو من بعض الأغطية الرفيعة[4]..وكانت تلبس المرأة الجزائرية حذاء ولكن دون جوارب أما لباس الرأس القومي هو "السرمة" الذي يصنع من الذهب أو الفضة حسب الطبقة التي تنتمي إليها المرأة وهو محزوطي الشكل وفوقه يلقى حجاب شفاف كثيف أو خفيف التطريزة، والفتاة الغير متزوجة على رأسها بدلا من ذلك قلنسوة عادية مطرزة بسكوينات[5].

---

[1]– ينظر ملحق: رقم 3 ص138.

[2]– شريفة طيان، المرجع السابق، ص 148.

[3]– وليم سبنسر، المرجع السابق، ص 107.

[4]– F.de haedo,. Op,cit , p 127

[5]– وليام شالر، مصدر سابق، ص ص 83--85.

وكانت ترتدي بعضهم ملابس من شاش أو قميص من الحرير و القطن مقصوص من الأمام مثل قميص الرجال و حتى اقل انفتاحا، أما الأكمام تكون عريضة بشكل مفرط و هي واسعة مثل طول القميص لكنها مفتوحة فقط من الكتف الى الكتف، و كانت لهذه الأكمام شرائط من ألوان مختلفة من الحرير و في جميع أنحاء الأكمام يتم خياطة الدانتيل الذهبي أو الفضي على شكل أساور و في بعض الأحيان بدلا من شرائط الحرير فهي ضفائر حتى تجعله باهض الثمن[1]

اما بالنسبة للباس الرجل الحضري حسب شالر فقد كان الرجل الحضري يرتدي على رأسه عمامة ،و في رجليه "البليغة" التي كانت تمثل زي الرجل الجزائري ، وكثيرا ما يلبس الرجل حزاما يلفه عدّة مرات حول وسطه ويعلق عليه "يتجانا" أو مسدسا، ويضع في طياته ساعته ومحفظة نقوده.،.أما الجوارب فلا يلبسها إل الشيوخ وفي حالة البرد فقط[2]. ما ملابس الأتراك الكلوغيين عادة ما كانت مزينة بالقصب، وبحواشي الذهب أو القفة أو الحرير طبقا لغرور الشخص فيلبس الرجل برنوسا يحمله على كتفه ويغطي به كل جسمه والبرنوس نوع من المعطف له شكل دائري يلصق في وسطه "قلصون" ولنسج البرنوس تستعمل صوف ناعمة بيضاء تمزج أحيانا بالحرير وزخارفه وحواضيه أيضا من الحرير، والبرنوس الذي يلبس في فصل الشتاء وله نفس الشكل لكن ينسج من خيوط أمتن بحيث يقي من أما الكراغلة يلبسون الملابس المطرزة بالذهب مثل آبائهم وعادة ما تكون مزينة بالقصب وبحواشي الذهب والفضة أو الحرير.

أما العرب فيلبسون الحايك كما يلبس الهنود الحمر البطانية وكل اللبسين يستعمل لنفس الغرض: معطف في النهار وغطاء بالليل ومع ذلك يجب الاعتراف بأن الحايك لباس

---

[1] –venture de paradis, **Alger au XVIII[e],siécle , edité par, bibliothèque national de France**, Alger, 1898, p 35-36.

[2] – وليام شالر، المصدر السابق، ص 83.

غير صريح لأنه يتحتم على لابسه أن يمسكه دائما بيده[1]، اما سبنسر فقد تحدث عن لباس الرجل ذو الاعتبار الذين كان عبارة عن بدعيتين او ثلاث مفتوحة عند الرقبة و تزركشها الأزرار وسروالا مطرزا عريضا و فضفاض في طول العجل يتخذ إما من الموسلين او

نسيج القطني الأبيض و يضاف اليه اما شاش او شاشية حمراء بحيث كان هذا اللباس مميز و كافي[2].

3.الغذاء:

ذكر شالر بأن الخبز ولحم الضأن والدجاج والسمك والحليب والزبدة والخمر، وزيت الزيتون، والفواكه والخضروات والكسكسي الذي يصنع من عجينة تشبه العجينة التي تصنع منها المقارونة، وتشكل الأغذية الرئيسية لسكان بلاد البربر، والكسكس يمكن اعتباره الصحن القومي وهو بمثابة المقارونة في إيطاليا والأرز في الهند حيث يفتل بحبات صغيرة عادة في قصعة مصنوعة من الخشب ثم يوضع في كسكاس ويطهى بالبخار.

وقد يرفق بالمرق والخضروات، أو يقدم بالبيض المسلوق أو بأعشاب حلوة والكسكس لذيذ الطعم ومغذ جدا والطبقة الفقيرة التي لا تستطيع شراء اللحم تحضره بالزيت الزيتون أو مدهونا بالزبدة أما طبقة العمال فهي تقتنع بالخبز مع الزيت متى أمكنها الحصول عليه حيث أن الجزائريين لا يستهلكون إلا قليلا من لحم البقرة، وتعدّ القهوة هي مشروب الترف لهذا الشعب الذي لا يتناول الخمر ولا يشرب سوى الماء[3].

بالإضافة إلى أن سكان المدن كانوا يقبلون كثيرا على طبخ الدولما (مضاها الحرفي المحشوة) من مختلف الأنواع مثل: سوبان، دولماسي (بصل مملوء بلحم الخروف المربي والأرز)، ويابراك دولماسي (رجع مغلف بأوراق العين) وقد كان الكباب من لحم العجول

[1]– وليام شالر ،المصدر السابق ص 83–85.

[2]–وليم سبنسر،المرجع السابق، ص103.

[3]– وليام شالر، المصدر السابق، ص، ص87–88.

والخرفان شائعا في المطبخ الجزائري كذلك الكلفة (وجبة كراكب من اللحم تطبخ بطرق متنوعة وهي مادة طبخ شعبية في المطبخ التركي اليوم)[1]، وبالنسبة للطعام الذي كان يقدم للأسرى فقال كاثكارت: "نحن عمال الحديقة لا نتلقى من الطعام سوى صحن صغير من اللحم مع "المحمصة" وصحن من البرغل وقدحين من اللبن الحامض "الرايب" في اليوم وهو غذاء لا يكفينا، وبين الحين والآخر يقدم إلينا شيئا من الزيت والخل والخبز الأسود وتقدم إلينا بعض الفواكه مثل "الدلاع" في موسمه أما فواكه الحديقة ممنوعة علينا ويحتفظ بها لاستهلاك الداي شخصيا[2].

وحسب حمدان خوجة كان غذاء البربر خبز الشعير وزيت الزيتون واللبن المجفف والبلوط، والأثرياء الذين يملكون عشرين أو ثلاث يشربون الحليب والقبائل عادة لا يأكلون الأغنام ولا الدواجن ولا يذبحونها إلا عندما يؤمهم ضيف لأن قانون الضيافة مقدس عندهم[3].

4.الثروة والفقر:

الثراء و هو الغنى و كثرة المال و ذو الثراء هو ذو العدد و كثرة المال و هو واسع الثروة ذو الموارد الطبيعية او الصناعية الهامة و عكسه الفقر و هو الحاجة يقال ان الانسان فقير أي محتاج، و هو تلك الأحوال المعيشية التي تكون نتيجة سوء التغذية و الجهل و المرض مما يجعلها دو المستوى المعهود للحياة اللائقة[4]

والجدير بالذكر السلطة السياسية قد تركزت جلها في أيدي الأتراك، فالشدة التي تحصلوا عليها تتحول تدريجيا إلى العائلات الكبيرة من الأهالي، حيث نجد حظوظ التركي وثروته شيء محفوف بالخطر طول حياته، إلا أن الأهالي ليس له الحق في أي وظيف

[1]–وليم سبنسر، المرجع السابق، ص 113.

[2]–كاثكارت، المصدر السابق، ص 26.

[3]– حمدان بن حمدان خوجة، المصدر السابق، ص 25.

[4]– ياسين بودريعة، المرجع السابق، ص21.

سامي ودوره في جميع الثروات التي تقع في البلد[1]، فقد صنفت عائشة الغطاس كل أغنياء وأثرياء مدينة الجزائر خلال العهد العثماني وكل من فاقت تركته 100000 ريال ومن خلال إجراء الإحصائيات تم إحصاء 27 شخصا شكلوا مجموعة فاحشي الثراء ما بين عامي 1786 و1800 [2]، إضافة إلى ذلك ذكر شالر أنه عندما توفيت أرملة أحمد باشا وهو الداي الذي عقد المعاهدة الأولى مع الولايات المتحدة الأمريكية شاع القول أنها خلفت تركة تبلغ عدة ملايين من الدولارات.

كما ورثه مصطفى باشا خلفه الذي تدفع للولايات المتحدة الامريكية ايجار المنزل الذي يشغله قنصلها حيث كانوا يملكون في مدينة الجزائر وخارجها ثروة تقدر بنصف مليون دولار مما يفسر قول شالر: "أن مدينة الجزائر تعد من أغنى مدن العالم بالمال"[3].

[1]–وليام شالر، المصدر السابق، ص 78.

[2]– ياسين بودريعة، المرجع السابق، ص 52.

[3]– وليام شالر، المصدر السابق، ص 78.

المبحث الثاني: أحوال النساء

لعبت المرأة دورا بارزا و هاما في مجتمع مدينة الجزائر ابان العهد العثماني حيث ساهمت بشكل كبير من خلال ممارساتها لمختلف النشاطات الحرفية خارج منزلها إضافة الى تربية الأطفال و رعايتهم و الاهتمام بشؤون المنزل.

1. تعريف المرأة الحضرية:

في حديثنا عن المرأة الحضرية في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني فقد وصفها شالر بأن الميزة التي تمتاز بها هي جمال القامة واعتدالها ثم يأتي بعد ذلك جمال العينين والحواجب الكبيرة والأسنان الجميلة، ولكن نوع الجمال الذي يروق للناس هو جمال المرأة السمينة، كما ذكر أن المرأة الجزائرية كانت تعني عناية خاصة بشعرها وكثيرا ما ينزل شعر المرأة الجميلة حتى يصل إلى الأرض وأن المرأة الجزائرية لا تقنع بالجمال الذي وهبتها الطبيعة لشعرها وحواجبها فهي تعمل دائما على صبغها[1].

وهناك من ذكر في هذا الخصوص عن نساء المدن اللواتي اتبعن أناقة أكثر دقة وهذا ربما يعود إلى انعزال حياتهن، حيث كانت النشاء الجزائريات شديدات الرغبة في الروائح و الأطرزة المزركشة والتركيبات يثنى عليها بشدة بين نساء مدينة الجزائر وهي عيون الغزل (أي الاتساع والصفاء واللون)[2].

أما بالنسبة للباس المرأة الحضرية فذكر شالر أن نساء الجزائر كانت تلبس الحلي الثقيلة بما في ذلك خواتم وأقراط الذهب وأساور وخلاخل من الذهب والفضة، والمعدن الشائع في الطبقات الغنية هو الذهب ثم تنزل النساء حسب طبقتهن إلى الفضة ولباس الرأس القومي المصنوع من (السرمة) حسب الطبقة الاجتماعية وهو مخروطي الشكل وفوقه يلقى

[1]– وليام شالر، المصدر السابق، ص 79.

[2]– وليم سبنسر، المرجع السابق، ص، ص 106–108.

حجاب شفاف كثيف أو خفيف التطريزة[1]، بالمقابل كانت تضع فوق السروال قميصا طويلا ذا أكمام طويلة وعريضة مصنوعة من قماش شفاف مطرز بالحرير ومزين بالدانتيل، وكانت تلبس فوقه فريملة وقفطانا من الحرير والذهب، وتضع أسفل جسمها فوطة طويلة مثل المرأة الأندلسية[2].

ومن الملاحظ ذكره أن المرأة الجزائرية لم تكن تخالط الرجل ولا تخرج من المنزل إلا للضرورة أو لزيارة العائلات أو المقبرة أو التبرك بأضرحة الأولياء الصالحين[3]. وهذا ما أشاد به القنصل السيد شالر في قوله: ان نساء الطبقة الراقية لا يخرجن إلا قليلا أو أقل انهن لا يخرجن اطلاقا على الرغم من أن هذه السيدات يتعرضن للوم أزواجهن على التبرج والتبذير مع بقائهن في العزلة.

2. ممارسات المرأة:

في حديثنا عن ممارسات المرأة الحضرية وانشغالاتها فقد نجد أن شالر لم يشر إلى هذه النقطة فقد اكتفى بذكر انشغال المرأة بنفسها من خلال صبغ شعرها وحواجبها وطلاء الأظافر وصبغ أيديهن بالحناء...الخ. مقارنة مع آخرين ذكر سبنسر أن المرأة كانت تلعب دورا ثانويا في مجتمع الجزائر الذي يسيطر فيه الذكور أساسا، وهناك من تحدث أن مهنهم قليلة في المنزل باستثناء رعاية الأطفال وغسيل الحوايج مرة واحدة في الأسبوع والطهي، ومع بقية الوقت خاملون أو مستلقين على الحصير ولا يفعلون أي شيء إلا القيام ببعض أعمال الخياطة أو إصلاح بعض القمصان.

[1]– وليام شالر، المصدر السابق، ص 85.

[2]– حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 15.

[3]– عمار عمورة، المرجع السابق، ص 107.

وفي الحديث عن دور المرأة في مجتمع مدينة الجزائر فنجدها تعاطت نشاطات حرفية خارج بيتها[1]، إضافة إلى إنجاب الأطفال وتربيتهم التي ليست بالأمر السهل إلى جانب ذلك تحمل أعباء المنزل حيث كنت النساء المدنيات يضرب بهن المثل في نظافة منازلهن إضافة إلى الاعتناء بنظافة الأبناء وتربيتهم[2].

إضافة إلى ذلك فقد اشتغلت في ورشات الصناعة الأنسجة الحريرية منذ النصف الثاني من القرن السادس عشر[3] الذي يعد من الإسهامات التي اختصت بها وأبرزت من خلاله دورها في المجتمع ومما يجب توضيحه أن ثمة أسباب قاهرة فرضت على هاته الفئة الخروج من بيتها وممارستها لهذه المهن[4]، ويعود الأمر هذا إلى الأندلسيات اللواتي جلبن معهن خبرة ودراية في مجالات متعددة: كالخياطة، والطرز، إضافة إلى أنها كانت تشتغل في إقامة الأفراح من أعراس وختان "المسمعة" و"المداحة"[5].

وهناك من ذكر بعض ممارسات تتعلق بطبيعة المرأة كوظيفة الخادمة، وهي المرأة التي كانت تعمل في المنازل حيث ذكر أن العديد من النساء مارسن هاته الوظيفة[6]، كما مارست مهنة التمريض والتوليد[7]، أو ما يعرف بوظيفة القابلة وهي من الوظائف التي لا غنى عنها فهي ممارسة خاصة بالنساء متمكنات تساعد النساء على الولادة، واضافة إلى ذلك كان القاضي يستعين بهن كخبيرات من أجل الفصل في القضايا المتعلقة بالنساء[8].

[1]– عائشة غطاس، المرجع السابق، ص315.
[2]– ليلى خيراني، المرجع السابق، ص 118.
[3]– عائشة غطاس، المرجع السابق، ص 315.
[4]– ليلى خيراني، المرجع السابق، ص 118.
[5]– عائشة غطاس، المرجع السابق، ص 315.
[6]– ياسين بودريعة، المرجع السابق، ص 228.
[7]– عائشة غطاس، المرجع السابق، ص 315.
[8] – ياسين بودريعة، المرجع السابق، ص 231.

ومن المهن التي مارستها النساء أيضا تحضير الخبز ذلك بالاتفاق مع جماعة الكواشين بشأن سعر طهي الخبز وذلك يعود إلى 1627م، ومن المناصب النادرة التي تولتها المرأة الوظائف الدينية كالإشراف على الأضرحة فهناك ذلك السيدة عائشة تولت وكالة ضريح الشيخ القطب سيدي عبد الرحمن الثعالبي[1].

إضافة إلى ذلك فقد ذكرت ليلى خيراني مشاركة النساء في بعض المعاملات الاقتصادية إلا أنها أثبتت فيها إسهاما واضحا كالقروض وعقود الكراء[2].

3. الزواج:

يكتسي هذا العقد اهمية كبيرة لانه يبرم و تحدد شروطه و هو اخطر من عقود جميع المعاملات" اذ هو عقد الحياة الانسانية" و احد مظاهر الحياة الاجتماعية السائدة بين الاسر[3]. وهناك ظاهرة كانت شائعة في خصوص العرف بمدينة الجزائر وتتمثل في التوسط، التوسط، ويتم عادة عن طريق امرأة مسنة صديقة لعائلتي زوج وزوجة المستقبل نظرا للسرية العامة المتعلقة بالأنثى فإن المتوسطات كنّ يقمن بعمل ذي قيمة. وربما يذهبن من بيت إلى بيت في مهمات للعائلات التي لهن أولاد في سن الزواج [4].

وتتم خطبة الفتاة على يد الخاطبة نفسها، فيجتمع الوالدان ويتفقان على الصداق[5] الذي يجب يجب أن يدفعه الشاب للفتاة، فإذا تم ذلك ذهب إلى القاضي الذي يستلم بدوره ما يستحقه من المال فيعدُ هذا عقد الزواج الشكلي ويحدد يوم العرس وعقب ذلك الوالدان يقرآن معه الفاتحة

---

[1]– عائشة غطاس، المرجع السابق، ص 316.

[2]– ليلى خيراني، المرجع السابق، ص125

[3]– خليفة حماش، **الاسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني**، رسالة مقدمة لنيل دكتوراه دولة في التاريخ الحديث، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، السنة الدراسية، 2006–2007، ص321.

[4]– وليم سبنسر، المرجع السابق، ص 116 –117.

[5]– الصداق: يتكون الصداق من مبلغ نقدي المعروف بالدينار الخمسيني ما بين أربعة دنانير ومائتي ألف دينار واشتمل أيضا على مكونات أخرى. للمزيد أنظر: عائشة غطاس، المرجع السابق، ص 223.

ليتم الزواج على بركة الله[1] وذكر وليام شالر أنه لا يوجد سوى عدد صغير من الجزائريين الذين يستفيدون من ترخيص الإسلام لهم بالتزويج بعدد من النساء، فإن القاعدة العامة أن الرجل يكتفي بامرأة واحدة، ويحتوي عقد الزواج على شروط على مستوى من المساواة مع الرجل الذي يتزوجها، أو على الأقل تحميها من معاملة تعسفية[2].

وكانت حفلات الزواج الجزائرية تختلف حسب الظروف المالية للعائلات وحسب المجموعة الاجتماعية المعنية، يتجول الزوج بضعة أيام قبل الحفل في نواحي المدينة على أصوات الطبول والمزمار وفي يوم الزواج يقوم بجولة أخرى مرتديا جلبابا أحمر بجانبه سيف رفيع، وخلال الثلاث أيام التي يجرى فيها الاحتفال يؤخذ العريس إلى الحمام حتي اليوم الذي يتم فيه الزواج، وينصرف بعدها ليلتحق بالزوجة في بيتها وهنا يعلنان أنهما زوجان لبعضهما، وكما هو الحال في زوجات الجزائر، فإن الزوجة عندئذ تخلع خمارها ويراها زوجها غير مقنعة لأول مرة، وعند باب دار زوجها تؤخذ بعناية كي لا تلتمس العرى الذي يعتبر فألا سيئا وهكذا تكون استقرت في البيت الجديد[3].

اما عن ابن حمادوش ذكر انه بعد انعقاد النكاح بين الزوجين على الوجه المسطور طاع الزوج زوجته ، ووعدها بأن لايتزوج عليها ولا يتسرى معها ولا يتخذ ام ولد الا بإذنها و رضاها، فمتى خالف ذلك يتطلقان بنفس الطريقة التي التي تمت في عقد زواجهم[4]

[1]– عمار عمورة، المرجع السابق، ص 223.

[2]–وليام شالر، مصدر سابق، ص 86 –87.

[3]–وليام سبنسر، مرجع سابق، ص 117 –118.

[4]– ابن حمادوش عبد الرزاق، **رحلة ابن حمادوش الجزائري المسماة لسان المقال في النبأ عن النسب و الحسب و الحال**، تق و تح و تع ، الدكتور ابو القاسم سعد الله ، د.ط، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية،الجزائر،2003، ص 240.

المبحث الثالث: العادات والتقاليد

كان الجزائريون يشتركون مع غيرهم من المسلمين في بعض العادات الدينية كعيد الفطر و عيد الاضحى و المولد النبوي الشريف بالإضافة الى مختلف المرافق الإجتماعية كالحمامات و المقاهي و الأسواق التي تعتبر من الأماكن التي يجتمع فيها الناس لتمضية أوقاتهم .

1-الأعياد والمواسم:

يعرف عيد الفطر عند الاتراك ب "قربان بيرام" و يسمى عند الجزائريين بالعيد الصغير[1]، بحيث قال شالر، أنه في مدينة الجزائر كان عيد الفطر الذي يتوج شهر الصيام عند المسلمين مثل عيد الأضحى الذي يأتي بعده بشهرين وعشرة أيام وهي مناسبة جليلة تعلنها طلقات المدافع المدوية ويطلق المسلمون فيها العنان للفرح والسرور، وفي هذه المناسبة تجري ألعاب شعبية وتصفف موائد الطعام في القصر وفي كل مكان، وكل هذا يدل على الفرح والسرور والاحتفال وفي هذه الأعياد كانت توجه الدعوة إلى قناصل الدول ليشتركوا في الاحتفالات ولكن ليس بوصفهم ممثلين لدول مستقلة وانما يدعون لكي يقدموا تحياتهم إلى الداي ويلهجوا بالثناء على قوته وعظمته لأنهم يتركون في وسط الجماهير ولا يخصص لكل واحد منهم مكانة وعندما يدخلون على الداي ليقدموا إليه تحياتهم لا تقدمهم على قواعد للمراسم على احد فيما عدا رئيس الطائفة اليهودية، ولكي يثبت القناصل تبعيتهم تقتضي هذه القواعد أن يقبلوا يد الباشا في كل مرة يقفون أمامه[2].

كما أن القصر يحتفل بمناسبة عيد الأضحى بالمأدب والموسيقى ومباريات المصارعة والصواريخ والمفرقعات وفي الصباح اليوم الأول من العيد يرفع العلم التركي على القصر

[1]- بلبراوات بن عتو، المرجع السابق، ص ص 141-142.

[2]- وليام شالر، المصدر السابق، ص 67.

والعلم الجزائري على التحصينات وتطلق مدافع التحصينات نيرانها والمدافع المسددة في البحر قذائفها احتفالا بهذه المناسبة[1]، ومن العادات والتقاليد في العاصمة الجزائرية الإسلامية شهر رمضان المعظم فإنهم يحتفلون به غاية الاحتفال ويقومون بواجب الصلاة التراويح واعتناؤهم بختم صحيح البخاري[2].

وكانوا يضيئون الشموع وأهم ظاهرة في هذا الشهر هي أن المدينة تسهر خلافا لسائر الشهور فقد جرت العادة أن لا يخرج أحد من داره من سقوط الظلام إلى شروق الشمس حين كانت اغلق أبوابها ولا أحد يمشي ليلا، أما في رمضان فيخرج الجميع ويسهرون حتى النساء[3]. وخلال ليلة 27 من صوم رمضان تقام أعياد كبيرة وتوزع الصدقات على الفقراء ووضع الطعام في جميع أركان المنازل[4].

وينتهي الصوم حال إثبات ظهور القمر لاكتشاف الهلال الجديد الذي يسمى بشوال ثم ينغمس الأتراك في فرح مفرط ويطلقون نار الفرح لظهور قمر جديد كإعلان لنهاية الصوم لأن هذا الصوم يعد ركن الثالث من العبادات الدينية فهو واجب له أهمية كبرـ حيث يلي هذا الصوم احتفال يدعى بعيد الفطر الذي يستمر ثلاثة أيام وخلال هذه الفترة يقوم أشباه الجائعين من الاتراك بأحداث شغب مقابل افراط شديد حيث يلهون أنفسهم بالشراب والوليمة والموسيقى...وغيره[5].

---

[1]– كاثكارت، المصدر السابق، ص 31.

[2]– الزهار احمد شريف، **مذكرات نقيب الاشراف، 1168– 1246هـ/ 1745–1830م**، ت.ح، احمد توفيق المدني،،ط2، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1974، ص 181.

[3]– أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 160.

[4]–F. de haedo, Op.cit, p 142.

[5]– جيمس ويلسن ستيفن، المرجع السابق، ص 246.

وبما أن هذا العيد هو عيد البهجة والمغفرة فيستسلم فيه المسلم مسيراته حتى في أوقات النهار ويلبسون أجمل الثياب خاصة الأطفال[1]، وفي يوم العيد يستطيع كل انسان أن يدخل القصر ليتمنى لسيده الباي عيدا سعيدا وفي حوالي التاسعة صباحا يركب الباي جواده ويترك المدينة برفقة مماليكه وأعيان المدينة والفلاحين مع دقات الطبول تتعالى كما يوزع الهدايا على خدامه وحراسه ويقدم الجوائز لأحسن الفرسان، أما الأطفال فتقام لهم أراجيح وخيام يتناولون فيها عصير الليمون والبرتقال مجانا وتستمر التسلية حتى 12 زوالا[2].

ثم يأتي بعد ذلك عيد الأضحى حيث يحتفل فيه بذكرى التضحية المقدسة من قبل إبراهيم عليه السلام[3]. و الذي يدعوه الاتراك العثمانيون بعيد القربان"بيرامي" ، بحيث ذكر سبنسر ان الاحتفال بهذا العيد يتم بدا من اطلاق نيران البنادق بكثرة و عند بزوغ الفجر، و لما تقام صلاة العيد تفتح ابواب قصر الداي على مصرعيها للعامة[4]

إضافة إلى ذلك الاحتفال بالمولد النبوي الشريف الذي كان من أهم الأعياد التي كان يحتفل بها أهل المدينة ويحضرون للاحتفال به وذلك بتنظيف[5]مختلف المساجد والزوايا والاضرحة، ولقد كانت هذه المناسبة فرصة من أجل تخفيف حدّة الفقر بالمدينة وذلك لظهور العديد م ن المؤسسات الخيرية والاجتماعية[6]. حين كان يجعل أهل المدينة بمناسبة المولد النبوي الشريف ايقاد الشموع وانشاء للتواشيح وتزيين والطيب وغيرها ....[7]

ونجد أن المولد النبوي عيد كبير بالنسبة للأطفال، فالمدارس كلها مزينة بالأعلام والأزهار، ويقف التلاميذ أمامها وبأيدهم مسدسات يسددونها نحو كل مار، فيدفع لهم النقود

[1]– F. de haedo, Op.cit, p 70.

[2]– فندلين شلوصر، المصدر السابق، ص 86.

[3]– وليم سبنسر، المرجع السابق، ص 120.

[4]– بلبراوات بن عتو، المرجع السابق، ص142.

[5]– ياسين بودريعة، المرجع السابق، ص 338.

[6]– ياسين بو دريعة، المرجع السابق، ص 340.

[7]– أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي، 1500–1830**، المرجع السابق، ص 159.

هدية وإذا كان المار يهوديا فعليه أن ينزع حذائه ويغني، ويعترض الأطفال طريق المارة ويرشون وجوههم بالماء المعطر وينتظرون منهم أيضا أن يقدموا لهم الهدايا[1]، وفي الحديث عن المولد النبوي قال أحد الأسرى الأمريكان James wilsson steven في هذا الصدد: "أن عيدهم يقع في الخامس من شهر سبتمبر يوم ميلاد نبيهم والذي يحتفل به بوقار ويجتمع كل علمائهم في الجامع الكبير ويحمل كل واحد منهم مشعل في يدهم ويرددون المدائح الدينية في حق رسولهم الأعظم...."[2].

كما تعد الولادة من بين العادات والتقاليد، حيث يوم الولادة بشرى سارة في العائلة، فتشير إحدى الروايات التاريخية أن المرأة لو لوضعت مولودها تسرع العائلة لذبح دجاجة إذا كان المولود ذكر وديك إذا كان أنثى، وتقوم القابلة بدق مسمار في الوضع الذي وضع فيه الطفل بهدف إبعاد الأذى، وفي اليوم السابع تذبح شاه للعقيقة خصوصا إذا كان ذكر، وعلى الأب أن يقدم صدقات للمحتاجين، وبعد أسبوع يأتي شخص يجب أن يكون اسمه "محمد" أو "أحمد" ليؤذن في أذن الطفل ويلبس الطفل لأول مرة ملابس جديدة ويمنح له اسم، وفي العادة يكون المولود الأول يسهر على اسم جده لأبيه، واسم جدته لأبيه إذا كانت بنت، ويقام حفل صغير ويوزع الفول[3].

وفي الديانة الإسلامية الطفل المسلم يجب أن يؤدي الطهارة قبل بلوغ 10 سنوات، ويدعى الرجل الذي يقوم بهذه المهنة (العملية) لبشار، ويطلق عليه لقب الحجام ويختن الطفل داخل الدار أو يؤتى إلى الحجام إلى بيت او خارجه وبهذه المناسبة تقام حفلة صغيرة تدعى لها النسوة والاحتفال يكون بالطبول والبندير وزغاريد النساء...الخ[4].

---

[1]- فندلين شلوصر، المصدر السابق ، ص 86.

[2]- جيمس ويلسن ستيفن، المرجع السابق، ص 247.

[3]- بلبراوات بن عتو، المرجع السابق، ص ص 47-48.

[4]- المرجع نفسه، ص 48.

2-تمضية الوقت :

1-الأسواق:

يعتبر السوق[1] الوسط الذي يتحرك فيه الإنسان اقتصاديا وهو الاطار الذي تنتظم فيه التركيبة السكانية لأنه عندما تزداد حاجات الناس و تتطور، وتصبح بحاجة الى تجمع أو إتحاد يخصص كل واحد منهم في عمل لان الأعمال متصلة ببعضها البعض [2]ومع تحضر المدينة الإسلامية أصبح السوق يعني ذلك الحيز الذي تشغله عمليات التجارة في المدينة ،و في أي من هذه الأسواق المخلفتة ،وفقا للسلع التي تتم تجارتها فيها، وهذا يعني أنه أصبح هيئة إقتصادية مفتوحة على صفين من الحوانيت و الورشات على طول الشارع و كافية لتشكل سوقا ،بحيث تختص في بيع السلع المحلية وذات الاستهلاك الواسع كالمواد الغذائية والأولية و من هذا المفهوم،يصبح السوق هو الشريان الرئيسي و الحيوي للمدينة الإسلامية بحيث يجلب إليها تقريبا كل النشاطات المربحة كالتجارة و الحرفة.[3]

فلقد عمرت مدينة الجزائر بعناصر بشرية مختلفة من محترفين وعمال وتجار،يمارسون مهنهم في أسواق خاصة وذلك بتقسيمهم حسب العرق والحرفة، ما عدا الطبقة الحاكمة التي كانت تتكون من الاتراك و التي كانت تعيش من مرتبها الإداري أو من مدخول دكان خاصا أو بستان[4]

فلقد كان للجزائر أسواق تحتوي على أكثر من أربعين محلا، إلا أن القسم الأكبر منها بل أجملها و أجدرها قد هدم ، وقامت في مكانها محلات و دكاكين تجار أوروبيين بحيث

---

[1]- ينظر ملحق رقم 4، ص139.

[2]- ابن خلدون، **مقدمة ابن خلدون،** تح، عبد الله، بن خلدون، ج2، ط1، دار البلخي، دمشق، سوريا،2004 ، ص401.

[3]- بن كردرة زهية، **أسواق مدينة الجزائر من الفتح الإسلامي الى العهد العثماني من خلال المصادر دراسة تحليلية،** رسالة لنيل شهادة الماجستير في الاثار الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، السنة الجامعية، 1999.2000، ص 80.

[4]- ناصر الدين سعيدوني، **النظام المالي للجزائر اواخر العهد العثماني،1792-1830**،المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، الجزائر،1985، ص42 .

وصفها "فاغنر" قائلا ...لاتشبه أسواق بغداد ولا أسواق مدينة القسطنطينية ، فقد قضى الفرنسيون على الأسواق الجميلة و أقاموا مكانها دكاكين و مخازن أوروبية [1]. و الجدير بالذكر ان تلك الأسواق كانت مقسمة الى فنادق مخصص كل واحد منها لنوع من البضاعات[2]

بحيث كان يوجد في مدينة الجزائر بعض الأسواق التي كان يعرض فيها الغرباء بضائعهم بحيث كانت لا تقارن حتى بأسواق أزمير ،مع أنها ليست بتلك الفخامة التي عرفتها الأسواق القديمة [3]، وفي زيارة لحسن بن محمد الوزان لمدينة سنة 1516 م تحدث ، عن أهمية الأسواق العمرانية و الإقتصادية قائلا "...الجزائر وهي كبيرة جدا،أسوارها رائعة و قوية للغاية ،وتتألف من بيوت جميلة وأسواق جيدة التنسيق لكل منها مكانها الخاص" [4]

و لقد ترك لنا الرحالة و السفير المغربي "التمقروتي" قائلا أن الجزائر عامرة كثيرا بالأسواق فبلادهم لذلك افضل من جميع بلاد إفريقيا و أعمر وأكثر تجارا و أنفذ أسواقا و أوجد سلعة ،حتى كانو يسمونها "إسطنبول الصغرى "[5]، وهذه الأسواق، كانت تقع في ثلاث محاور رئيسية من المنطقة المتجهة :من باب عزون و باب الوادي و باب الجزيرة .حيث يتواجد النشاط الاقتصادي في مركز المدينة [6]، كما نجد ان الحفافين (الحلاقين) متواجدين في باب الوادي ، و باب عزون و باب البحر و هو ما يفسر اقبال الوافدين عليهم ليكونوا أنضف عند دخولهم المدينة[7]،اما عن شالر فقد تحدث عن سوق النخاسة التي أحدثت ضجة كبيرة

---

[1]–أبو العيد دودو، المرجع السابق، ص83.

[2]–المرجع نفسه، ص93.

[3]–حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص191.

[4]–عائشة غطاس، المرجع السابق، ص258.

[5]–مولاي بلحميسي، **الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني** ، ط2، ش.و.ن.ت، د.ب، 1981، ص ص 57–58.

[6]–حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص ص159–191

[7]– المرجع نفسه، ص191.

في العالم و التي قيل عنها الكثير من الاتهامات التي لا أساس لها من الصحة وذلك منذ ان الغيت القرصنة الفردية،وذلك لان الأسير الذي يقع في يد القرصنة انما هو ملك للحكومة التي قلما تبيعه ولا تتنازل عنه على سبيل الهبة و التراضي و بالتالي فانه من اندر الأشياء ان يعرض مسيحي للبيع في هذا السوق[1]

2. المقاهي:

ماميز الحياة الاجتماعية بمدينة الجزائر العثمانية و غيرها من مدن البلاد هو ارتياد سكانها الى المقاهي[2]، بحيث كانت توجد في الجزائر مقاهي خاصة بالرجال حيث كانت توجد في الجزائر مقاهي رئيسية فيه يلتقي الذين يهتمون بالسياسة ويتناقشون ويتنبئون بالأخبار فهذا المكان الذي يقصده الجزائري للمترقي ليزيل عن نفسه ميساورها من الملل والضجر فيجلس في المقهى الذي يفضله ويتناول قهوته ويتبادل الأخبار ويلعب الشطرنج[3].

ونجد أن المقاهي ا لشعبية كثرت في أواخر العهد العثماني حيث كان يرتادها كثيرا الحضر والأتراك وكلهم يجدون في المقهى ملاذهم للحديث الممتع إلى جانب العناصر الزنجية والبرانية[4].

فقد كان فاغنر ينصح المسافرين بزيادة المقاهي التي يزيد عددها في القسم الأعلى من المدينة على الستين، ويذكر أنه كان يقضي كل أمسية في واحدة منها، دون أن يندم على الوقت الذي قضاه ويعتبر أن المقاهي من الأماكن التي تتيح للآخرين أن يتعرف على الشعب ويتعلم لغته.

---

[1]–وليام شالر، المصدر السابق، ص100

[2]– بلبراوات بن عتو، المرجع السابق، 145ص

[3]– وليام شالر، المصدر السابق، ص ص 88–97.

[4]– بلبراوات بن عتو، المرجع السابق، ص 143.

3-الحمامات:

كتب شالر عن اقبال السكان مدينة الجزائر الى الحمامات[1] بحيث اعتبروها الوسيلة الوحيدة للتسلية، وهي اللقاءات التي تقع فيها الحمام العمومي، فالحمامات العمومية في الجزائر تستحق الذكر لأنها تشبه بدقة حمامات القسطنطينية وحمامات القاهرة وغيرها من مدن المشرق وأن هذه الحمامات كثيرة في الجزائر وأنه يحتفظ بها بعناية وأن الاقبال عليها من جمهور السكان كبير[2].

ويعتبر الحمام من أهم المرافق بعد المطبخ، حيث يتكون من طابقين طابق أرضي وبه قاعتان وطابق أول وبه غرف الاستحمام والمرحاض وقاعتي الاستراحة[3].

ويقصد بالحمام الماء الساخن والاغتسال في الحمامات ظاهرة قديمة عرفتها الشعوب القديمة، وقد وصلت هذه العادة إلى سلوك المسلمين الكبار لأن الإسلام يحث على الطهارة ومن بين الحمامات نذكر: لأن الإسلام بحث على الطهارة ومن بين الحمامات نذكر: حمام سركاجي حمام السيوعة، حمام القصبة، حمام القايد موسى، حمام كتشاوة....الخ[4].

ولقد كان للحمامات في مدينة الجزائر أغراض اجتماعية زيادة على عملها التنظيمي حيث كان يلتقي فيه الرجال والنساء الحضر كل في قسمه المنفصل وحجراته وفيه يتفق على الزواج، وفيه تحكى الحوادث العائلية بين الأصدقاء، وكانت هناك حوالي ستين من الحمامات أيام Haedo، وكانت بناياتها واسعة ونظيفة[5].

---

[1]- ينظر ملحق رقم 5، ص140.

[2]- أبو العيد دودو، المرجع السابق، ص 63.

[3]- وليام شالر، المصدر السابق، ص 99.

[4]- بلبراوات بن عتو، المرجع السابق، ص ص 83-85.

[5]- وليم سبنسر،المرجع السابق، ص 114.

ومضاءة من السقف ومجهزة بالماء البارد والمسخن بحيث يدخل المستحم فيدفع أجره بورقتين ثم يضع ثيابه في غرفة خارجية واسعة ومنها يمر عاريا إلى حجرة أخرى عريضة تتسع إلى ما يتراوح من 10 إلى 12 شخص[1]، حيث وصفها العالم الألماني ج.أوهابنسترايت خلال رحلته إلى الجزائر قائلا: "حمامات مدينة الجزائر مريحة ومزينة والذين يستعملونها تقدم لهم خدمات جيدة"[2].

وفي حديثنا عن الحمامات يجب الإشارة إلى حمام الداي الذي يقع بين قصر الأغا ومسجد الداي والمطابخ وجناح الحريم وقد شيد على مساحة اجمالية تبلغ 1000.15 م2 وينقسم إلى ثلاثة أقسام وهي:

الحمام القديم: يقع بالجزء الجنوبي وهو من الحمامات الخاصة أي خزانتها واحواضها مرتبطة ومتداخلة مع القاعة.

الحمام الجديد: عن هذا القسم من حمام الداي يصف لنا روزي بعض القاعات فيقول: نجد ممر يؤدي إلى حمامات النساء تتكون من 4قاعات أما وصفه للأحواض فيقول أنها لا تسع القدمين. وهذا الحمام ينقسم إلى: القاعتان الحارتان، الدافئتان، الممران الداخليان، القاعدة الباردة أو قاعة الاستراحة والمرحاض[3].

وحمام الداي يستعمله كل يوم جمعة ويستعمله الخازندارات ورئيس الطباخين في أيام الأسبوع، وكذلك يسمح للعبيد بالاستحمام فيه حينما يكون غير مستعمل من طرف سادتهم،

[1]– وليم سبنسر، المرجع السابق، ص 114.

[2]– ج أو هابسترايت، المصدر السابق، ص 37.

[3]– علي خلاصي، **قصبة مدينة الجزائر**، ج2، ط1، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص ص 35-39.

وهذا الحمام لا يضاهي في السعة بعض حمامات المدينة لكنه نظرا لأن الحمامات التركية كلها مبنية على طراز واحد[1].

4-الخرافات والأساطير:

لقد تحدث هاينريش عن أعمال الشعوذة بمدينة الجزائر من خلال حديثه عن فرقة العيساوية الذي قال عنها أنها حظيت بأتباع كثيرين داخل المدينة المذكورة ويدعى أفراد هذه الفرقة القدرة على أكل النار والزجاج المكسور والعقارب وابتلاع المسامير واللعب الحيوانات السامة مثل الأفاعي والثعابين دون أن يمسهم أذى وغرز الخناجر والسيوف في أجسادهم ويتم استعراض ذلك في مناسبات احتفالية وبعد الانتهاء من الاستعراض يقدم لأعضاء الفرقة الكسكسي ولقد ادعى العيساويين كمتصوفة مشعوذين أنهم استمدوا من رئيسهم ومؤسس طريقتهم سيدي عيسى موهبة التمتع بالسم دون أن يلحقهم منه سم[2].

ولقد أشاد وليام شالر القول في مذكرته إلى أن الجزائريون شعب يتعلق بالخرافات ويؤمن بأثر السحر وتدخل القوى غير طبيعية في مجرى الأحداث ومن هنا الاعتقاد الشائع بينهم بأن جيشا مسيحيا يرتدي زيا أحمر سوف يستولي على مدينتهم في يوم الجمعة وهذا هو السبب الذي من أجله تغلق المدينة أبوابها يوم الجمعة من الساعة الحادية عشر صباحا حتى الساعة الواحدة زوالا[3].

ومن الممارسات والاعتقادات السائدة في مجتمع مدينة الجزائر احتماء الفئات الاجتماعية بأولياء الله الصالحين من العين المؤذية والغازات والنكبات الطبيعية والاخطار الخارجية وكانت مدينة الجزائر تحتمي بسيدي عبد الرحمان الثعالبي ولم تكن كل مدينة تحتمي بولي صالح فحسب بل كانت كل فئة اجتماعية داخل المدينة الواحدة تحتمي بوليها

[1]- كاثكارت، المصدر السابق، ص 93.

[2]- بلبراوات بن عتو، المرجع السابق، ص 196.

[3]- وليام شالر، المصدر السابق، ص 98.

الصالح ان صح التعبير فحضر مدينة الجزائر يحتمون بعبد الرحمن الثعالبي وجماعة القبايل بسيدي عبد الرحمن بوقبرين[1]، بحيث كانت الجماعات الحرفية تحتفل بالعيد السنوي للولي الصالح حامي المدينة من ناحية ومن ناحية أخرى كانت كل حرفة تحتمي بولي صالح وتقيم عيده السنوي الذي يشارك فيه أعضاء الجماعة بقوة[2].

لقد كان رياس البحر يزورون ضريح سيدي عبد الرحمان الثعالبي وكانت تنصب سفنهم في اتجاهه ولا تنطلق إلا بعد ضريح الولي الصالح "سيدي بتقة" وقد كان الرياس يصطحبون معهم رايات بعض الأولياء الصالحين وينصبونها فوق سفنهم وذكر أبو القاسم سعد الله مقطعا عن ارتباط البحارة بأولياء الله الصالحين قائلا أنهم يدخلون قبل بدء الغزوة في زاوية والي دادة، أو ضريح سيدي بتقتة وغيرهما من القباب والمساجد ويذكر بأن البحارة الأتراك إذا حل بهم مكروه يوقدون الشموع باسم أحد من المرابطين أو يذبحون شاة ويرمون بنصفها إلى البحر على جانب السفينة الأيمن أما النصف الآخر من على الجانب الأيسر فمن هنا نلاحظ خرافية العقلية التركية[3].

هذا وذهب "ريمون" إلى القول بأنه وجد مدينة الجزائر مرقد البر أو الولي الحامي لصنعه الشواشي وهو أمر يدعو للاستغراب سيما وأن صنعته الشاشية لم تبلغ ما بلغته مثيلتها بمدنها تونس ولم تقتصر تلك الممارسات على الجماعات الحرفية فحسب بل تعدتها إلى طائفة رياس البحر فلا ينطلق هؤلاء في غزواتهم البحرية إلا بعد زيارة ضريح سيدي عبد الرحمن الثعالبي[4].

---

[1]–بلبروات بن عتو، المرجع السابق، ص 197.

[2]– عائشة غطاس، المرجع السابق، ص 175.

[3]– بلبراوات بن عتو، المرجع السابق، ص 197.

[4]– عائشة غطاس، المرجع السابق، ص 177.

ويبدوا أن ممارسة الشعوذة في القبب وأضرحة الأولياء الصالحين كانت شائعة بين نساء المدينة فقد كتب سبنسر، بأن العديد من النسوة الجزائريات كن يزرن دوريا قبب وأضرحة المرابطين وكن يقدمة القرابين ويوقدون المصابيح الزيتية ويضعن الزهور داعيات المرابطين الذين يقبعون في قبورهم إلى التدخل لابعاد الأرواح الشريرة والمصاعب العائلية عنهن[1].

لقد كانت الشعوذة من بين الممارسات التي قامت بها نساء المدينة ويبدوا أن هذه الممارسة كانت تكسب ممارسيها العديد من الأموال[2].وقد ذكر وليام شالر أن الشعب الجزائري شعب متعلق بالخرافات بحيث معظمهم كان لديهم منازل خلال العهد العثماني ذو آثار رائعة من الفن المعماري المغربي لكن كثيرا من هذه المنازل أهملت وتركت في حالة يرثى لها من أصحابها الذين هجروها وذلك لاعتقادهم أنها مأهولة بالأرواح وهو السبب الذي يبرر أنهم شعب يتعلق بالخرافات[3].

[1]– بلبراوات بن عتو، المرجع السابق، ص 198.

[2]– ياسين بودريعة، المرجع السابق، ص 235.

[3]– وليام شالر، المصدر السابق، ص 105.

الفصل الرابع

الجوانب الثقافية لمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

- المؤسسات التعليمية
- التعليم
- الحياة الدينية و الأدبية و الفنية

تمهيد:

قد عرف الوضع الثقافي في الجزائر خلال العهد العثماني نوع من الركود كبقية البلاد العربية، أي لم تكن هناك حركات تجديد فكري ولا انتفاضات علمية ذاتية أو متأثرة بالبلاد الأوروبية[1]،وذلك لأن الدولة العثمانية في الجزائر، لم تكن تهتم بما ينشده الشعراء، أو ما يقوله الخطباء على غرار اهتمامها برجال الحرب فقط، ولعل ذلك يعود الى طبيعة المرحلة التي كانت تعيش على واقع عصر اضطراب وصراع[2]، كذلك اشتغال الجزائريين بأمر معاشهم وبحثهم ع قوت يومهم، إضافة إلى الانتفاضات الداخلية والحروب الخارجية، لذلك وجدنا الثقافة في الجزائر على عهد الأتراك رهن فراش الاختصار تلفظ نفسها الأخير[3].

والجدير بالذكر أن الثقافة عامة في هذا العصر كان لها طابع خاص، حيث تميزت بالطابع الإسلامي الديني، وترتبط ربطا متينا محكما بين مختلف أصناف السكان[4]، كما ترتبط بعدد الزوايا والمساجد والمدارس حيث تغير هذه المرافق الدينية والتعليمية من أهم المعالم في المدن والتي لعبت دورا هاما في المجتمع حسب ما يلي[5].

---

[1]– ابو القاسم سعد الله، **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال**، ط 3، ش.و.ن.ت، د.ب، د.ت، ص 159.

[2]– راجع أحمد مقامات محمد بن ميمون الجزائري ق 12هـ–18م، **التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية** "بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في اللغة، جامعة العقيد أحمد دراية، أدرار، الجزائر، سنة 2008–2009، ص 20.

[3]– محمد بن ميمون الجزائري، **التحفة المرضية في الدولة البنكداشية في بلاد الجزائر المحمية**، تق وتح، محمد بن عبد الكريم ، ط 2، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1981، ص 45.

[4]–مبارك بن محمد الهلالي، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، ج3، د ط، مكتبة النهضة الجزائرية، شارع العربي بن مهيدي، الجزائر، د ت، ص 317.

[5]– سقاي نوال، **الحياة الاجتماعية والثقافية في مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني**، مذكرة لنيل شهادة أستاذ التعليم الأساسي في التاريخ والجغرافيا المدرسة العليا للأساتذة في الادب والعلوم الإنسانية، بوزريعة، الجزائر، السنة الدراسية 2007–2008، ص 35.

المؤسسات التعليمية :

ارتبط الوضع الثقافي عامة و الحياة الفكرية خاصة في مدينة الجزائر بالمؤسسات التعليمية ، و التي لعبت دورا كبير في نشر العلم و تحفيظ تعاليم القران الكريم ، اضافة الى الاعمال الخيرية التي كانت تقوم بها كإيواء الفقراء ، و التي ارتبطت اساسا بالمساجد و المدارس و الزوايا و الاوقاف .

1- المساجد:

تعتبر المساجد من المظاهر والمنشآت المعمارية الهامة فهي جوهر العقيدة الإسلامية لأهل المدينة، تجلت فيها معالم الحضارة الإسلامية والتأثيرات الحضارية العثمانية[1]، ورغم ذلك نجد ان شالر لم يقدم الوصف الكامل المستحق لها لعل ذلك يرجع الى كونه مسيحي غير مسموح له بالدخول إلى المساجد لذلك قال: "لا أستطيع أن أقدم وصفا لها"[2].

في حين نجد العديد من المصادر تحدثت وبشكل كبير عن المساجد أمثال أبو القاسم سعد الله حيث وصفها بأنها كانت للعبادة والتعليم حيث فرق بين اسم الجامع والمسجد والزاوية، ذلك أن بعض الجوامع والمساجد كانت تابعة لزوايا معينة[3]، وبعض الزوايا كانت تابعة لجوامع ومساجد معينة.والمساجد كانت تقام بها الصلاة، والقاء حلقات للدروس اليومية[4]، لم تكن أماكن للعبادات فقط، بل كانت تؤدي دورا تربويا من خلال تلك الحلقات التي كان يقدمها شيوخ المساجد، فضلا عن خطب الجمعة والاعياد التي كانت تتعرض

[1]- سقاي نوال، المرجع السابق، ص 37.

[2]- وليام شالر، المصدر السابق، ص 98.

[3]- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي1500-1830**،ج1 ،المرجع السابق، ص 245.

[4]- أشرف صالح، **المراكز الثقافية في دار السلطان (الجزائر) أواخر العصر التركي**، مجلة علمية محكمة تصدر عن الاكاديمية الامريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا، مج4 ، ع7، 2013، ص 64.

لمختلف المناسبات والتي كانت تجلب لها جمع غفير من المسلمين[1]، كما يعتبر المسجد قلب القرية في الريف وروح الحي في المدينة، أيضا الرابطة بين أهل القرية والمدينة، باشتراكهم جميعا في أداء الوظائف فيه، حيث كان تشييد المساجد عملا فرديا بالدرجة الأولى، فالغني المحسن هو الذي يقود عملية بناء المسجد والوقف عليه وصيانته، لان الدولة لم تكن مسؤولة على بناء المساجد، واذا بنى أحد الباشوات فيكون من ماله الخاص، ويوقف عليه من أملاكه[2]، وهذا ما يفسر المكانة والدور الذي لعبته المساجد في نشر العلم فهو فضاء وملتقى للسكان الانفعالي في مدن المغرب العربي[3].

أما من خلال تقديرنا لعدد المساجد في الجزائر فقد قدرها شالر بـ 9 مساجد مبرزا ذلك في قوله "أن المباني العمومية تتكون من 9 مساجد كبيرة[4]، وبالتالي فهل تقديره لعدد المساجد صحيحا أم يتنافى مقارنة بإحصائيات المصادر بعض الكتابات التاريخية المتنوعة، فحسب ما ذهب اليه سعد الله بان الاحصائيات حول عدد المساجد تختلف لأن بعض المصادر تكتفي بالحديث عن المدن الرئيسية وبعضها لا يذكر إلا الجوامع (أو المساجد الخطبة) ثم ان بعض الاحصائيات تختلط بين المساجد القديمة المؤسسة قبل العهد العثماني وأثناءه[5]، اما هايدو في أواخر القرن العاشر الهجري والسادس عشر ميلادي يقر بوجود في المدينة على الأقل 100 مسجد كبير، أو صغير كل منهما أئمة لإدارتها وإلقاء الخطب، وتشيدها من طرف العثمانيين من بينهم الأعلاج، وبعض سكان مدينة الجزائر الخيرين من

---

[1]– لخضر بلعربي، **فنون النثر الأدبي في الجزائر على العهد العثماني**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في الأدب الجزائري لقديم، كلية الآداب والفنون، جامعة أحمد بن بلة، وهران، الجزائر، السنة الجامعية 2018/2017، ص 4.

[2]– أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 246.

[3]– العربي ايشبودان، مدينة الجزائر، **تاريخ العاصمة**، تر جناح مسعود، مراجعة، حاج مسعود مسعود ، د.ط، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007، ص 50.

[4]– وليام شالر، المصدر السابق، ص 98.

[5]– أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 247.

الميسورين[1]، لكن محمد الطيب العقاب يذكر أن مدينة الجزائر وحدها تحتوي أكثر من مائة مسجد يقع معظمها في أسفل المدينة أو في وسطها[2]، وفي نفس السياق نجد التمغروطي اكتفى في حديثه عن مدينة الجزائر في أواخر القرن 16م بقوله ان فيها الجامع الكبير وهو واسع وامامه مالكي، وفيها ثلاث خطب أحدها للترك وامامهم حنفي. كما ذكر "بانانتي الإيطالي أن هذه المدينة تضع تسعة جوامع وخمسين مسجدا، أما ديفولوكس الذي بحث موضوع المؤسسات الدينية في مدينة الجزائر نجد ديبولوكس الذي يذكر بانه يوجد بها ثلاثة عشر جامعا كبيرا، ومائة وتسعة مسجدا[3]، بالرغم من ذلك أن شالر لم يتحدث عن هذه المساجد ودورها في حين هناك العديد من الكتاب تحدثوا عنها ومن بيه هذه المساجد نذكر:

2- الجامع الكبير:

يعتبر الجامع الكبير أو الأعظم، وهو من أقدم المساجد في الجزائر، وكانت له وظائف دينية واجتماعية متعددة، وتداول عليه أئمة ومفتون ومدرسون من درجات متفاوتة[4]، وهو للمالكية قبل نزول العثمانيين بالجزائر ولم يكن المسجد للحنفية وتشييده يزيد بكثير على تسعة قرون، ويقولون أنه أقدم منبر في العالم الإسلامي[5].

وأهم ما يميز هذا المسجد عن سائر مساجد مدينة الجزائر أن طول صومعته خمسة أمتار، وسقفه كان يرتكز على اثنين وستين عمودا واشتمال ساحة الوضوء على فوارة من الرخام[6]، وأيضا كانت كل المساجد مرتبطة بالجامع الكبير فيما يتعلق بالإعلان أو الدعوة إلى الصلاة، نظرا لأهميته الكبرى عند سكان مدينة الجزائر باعتباره أعرق وأكبر الجوامع

[1]- أشرف صالح محمد السيد، المرجع السابق، ص 64.

[2]- محمد الطيب عقاب، **قصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني**، تأليف محمد الطيب عقاب، دار الحكمة للنشر، الجزائر، 2009، ص 23.

[3]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 248.

[4]- أشرف صالح محمد السيد، المرجع السابق، ص 65.

[5]- نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص 115.

[6]- لخضر سعيد بلعربي، المرجع السابق، ص 65.

بها[1]، حيث هذا الجامع كان مقرا للمفتي المالكي وللمجلس الشرعي الآسيوي (يوم الخميس) حيث كان له موظفون كثيرون وأوقاف ضخمة، ومن أهم موظفيه بالإضافة إلى المفتي والوكيل امامان ومساعدان للمفتي وتسعة عشر أستاذا وثمانية عشر مؤذنا وثمانية حزابين لقراءة القرآن وثلاثة وكلاء أوقاف، وثمانية منظفين، وثلاثة موظفين للشهر على الإضاءة[2].

3- مسجد الجامع الجديد:

يعتبر من أهم المساجد بعد المسجد الأعظم وهو من بين المساجد الباقية حتى الآن له منارة عالية ترى عن بعد من البحر[3]، وسمي بالنسبة إلى الجامع الأعظم لأن مدينة الجزائر كان لها مساجد حنفية قبل تشييد الجامع بناها الاتراك، تبلغ مساحته نحو 1372 مترا مربعا[4]، ونجد أن هذا الجامع مقرا للمفتي الحنفي الذي كان في مقام شيخ الإسلام في إسطنبول، أما بالنسبة لموظفيه كان يحوي عدد كبير كانوا يتوزعون على مختلف الاختصاصات، لكنه فقد القليل من روعته وهيبته عندما غطاه الفرنسيون من جهة البحر بمدهم الطريق الموازي للميناء، أما من الداخل فمازال يثير الدهشة والتأمل[5]، أهم ما يميز هذا الجامع أنه وفق بين المذهبين المالكي والحنفي، حيث أنه كان يضع فقهاء وعلماء من المذهبين، وهذا دليل على التعايش الذي كان موجودا آنذاك بين المذاهب الدينية المختلفة[6].

---

[1]- أشرف صالح محمد السيد، المرجع السابق، ص 65.

[2]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص ص 258-259.

[3]- أشرف صالح محمد السيد، المرجع السابق، ص 65.

[4]- نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص 161.

[5]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 259.

[6]- لخضر سعيد بلعربي، المرجع السابق، ص 7.

4- جامع كتشاوة:

يعتبر هذا المسجد من أشهر مساجد العاصمة[1]، يقع بقلب مدينة الجزائر قبالة ساحة القصبة، كان يحمل اسم كتشاوة[2] التي تعني بالتركية (هضبة المعز) حيث كان مظهره عبارة عن قبة واسعة، وكانت المئذنة من الطراز المغربي أي على شكل مربع[3]، وهو مسجد حنفي بنوه في السنين الأولى من القرن الحادي عشر الهجري والسابع عشر الميلادي[4] الذي أسسه حسن باشا[5].

5- جامع سفير:

يوجد المسجد في الزاوية المكونة من شارعي الاخوة بشارة وعبد الرحمن رودن، في الأصل كان في القسم الأعلى من القصبة المدعو بالجبل[6]، ويعتبر من أهم مساجد القصبة حيث كان لا يفوقه شهرة وشساعة إلا المسجد الكبير، الجاع الجديد، جامع السيدة وجامع كتشاوة، حيث يقال ان بناءه لم يستغرق سوى تسعة أشهر في ذلك الوقت[7].

حيث يوجد على الباب الرئيسي للمسجد كتابتان تحددان بنائه وإعادة بنائه نصهما: "بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما، هذا مسجد بديع...أمر ببنائه خدم سلطاننا الكبير والمحترم زعيم الجهاد، المدافع على دين ملك الكون، خير الدين اعانه الله ونصره، ذلك الخدم النقي العابد لله، سفر، غفر الله له ذنوبه، وبدأ بنيانه في شهر رجب الأوحد من السنة السالفة للسنة الجارية، وتم بنيانه في الثاني من

---

[1]- نوال سقاي، المرجع السابق، ص 42.

[2]- ينظر ملحق رقم6 ، ص141.

[3]- أشرف صالح محمد السيد، المرجع السابق،ص 66.

[4]- نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص 164.

[5]- مولاي بلحميسي، المرجع السابق، ص 185.

[6]- سعاد فويال، **المساجد الاثرية لمدينة الجزائر** ، د.ط، دار المعرفة، الجزائر، 2010، ص 57.

[7]- فوزي سعد الله، **قصبة الجزائر الذاكرة الحاضر والخواطر** ، د.ط ، دار الارشاد للنشر والتوزيع، د.ب، 2013، ص 61. 61.

شهر ربيع الأول في سنة 941 هجرية تقبل الله هذه الأعمال تقربا وزلفى لوجهه الكريم"، >حيث بدأ بنيانه في سنة 940هـ، الموافق لجانفي 1534م، ويرجع الفضل في تأسيسه إلى تقوى مسيحي اعتنق الدين الإسلامي وحرره خير الدين بربروس، وهذا العبد سفر بن عبد الله أعطى اسمه لهذا المسجد، وقد أعاد بنائه حسين باشا آخر دايات الجزائر سنة 1242هـ/1827م.

وعند سقوط الجزائر في قبضة الاحتلال الفرنسي عام 1830 تم تحويله إلى صيدلية مركزية لصالح الجيش المسعمر، وفي عام 1843 تم تحويله إلى كنيسة "نوتردام دي فيكتور" "notre dame des victories"، وفي عام 1930 زين الجامع من الداخل بالخشب والجبس وذلك عند الاحتفالات بالذكري المائة للاحتلال[1].

6- جامع سيدي محمد الشريف الزهار:

وهو عبارة عن مسجد يضم ضريح الوالي محمد الشريف المتوفي سنة 948هـ الموافق لـ 1543م يتكون هذا المسجد إلى جانب المحراب على قاعة صلاة بسيطة ومئذنة ثمانية الجوانب[2]، وهو مسجد مالكي ويسمى أيضا زاوية سيدي محمد الشريف[3]، ولهذا الجامع أهمية أهمية كبيرة حيث كان محل تدريس يتعلم فيه الطلبة القرآن الكريم إضافة إلى أنه مصدر اعانة الفقراء[4] إضافة إلى وجود مسجدين موجودان حتى الآن بالقصبة على جانبي قصر الداي.

[1]- سعاد فويال، المرجع السابق، ص 62.

[2]- عمار عمورة، المرجع السابق، ص 157.

[3]- نور الدين عبد القادر، مرجع سابق،ص 166.

[4]-عمار عمورة، المرجع السابق ، ص 157.

7-مسجد سيدي عبد الرحمن:

وهو من أكثر المساجد الشعبية الصغيرة في الجزائر وذلك نظرا لاحتوائه على ضريح عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي وهو فخر أئمة علماء الجزائر[1]، بالإضافة إلى هذه المساجد هناك مساجد أخرى كبرى موجودة بالمدينة كجامع بتشين وجامع سيدي رمضان وجامع القصبة البراني ومسجد علي خوجة وجامع، كذلك يشير شالر في مذكرته قائلا: هذا إلى جانب عدد لا يحصى من المساجد الصغيرة[2].

والجدير بالذكر أن الميزابيون كانوا يرفضون أداء الصلاة في المساجد العمومية، حيث كان لهم مسجد خاص بهم خارج المدينة في مبنى الطاحونة، والسبب الذي يمنعهم من الصلاة في تلك المساجد (العمومية) وحسب شالر أنهم كانوا يعتبرونها أماكن غير طاهرة بسبب شبكة المجاري المائية[3].

2- المدارس والكتاتيب:

وهي أماكن مخصصة لإلقاء الدروس المختلفة، وتواجدت بمدن رئيسية وهي: قسنطينة، وبجاية والجزائر ووهران وتلمسان[4]. حيث كانت تتميز بنفسها ببرامج تعليم ذات مستوى عال تمكن الطالب الحائز على إجازة شيوخها من معرفة معمقة بمختلف العلوم[5]، حيث يرى

---

[1]- سعاد فويال، المرجع السابق ، ص 77.

[2]- وليام شالر، المصدر السابق، ص 77.

[3]- المصدر السابق ، ص 112.

[4]- راجع أحمد، المرجع السابق ، ص 21.

[5]- ناصر الدين سعيدوني، **الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية (الجزائر – تونس – طرابلس الغرب)، من القرن العاشر إلى الرابع عشر من القرن السادس عشر حتى التاسع عشر**، كلية الآداب، جامعة الكويت، د ت، ص 72.

بعض الرحالة أن عدد المدارس كان مرتفعا[1]. في مدينة الجزائر التي كانت تمتلك الكثير من المدارس العادية التي كان يتردد إليها التلاميذ، وقد بلغ عددها عند نهاية العهد العثماني حوالي مائة مدرسة[2] بين ابتدائية وغيرها[3]، حيث كان لا يخلو منها في الأحياء في المدن ولا قرية من القرى في الريف، بل كانت منتشرة حتى بين أهل البادية والجبال النائية، ما جعل جميع الذين زاروا الجزائر خلال العهد العثماني ينبهرون من كثرة المدارس بها وانتشار التعليم وندرة الأمية بين السكان[4].

كما وعرفها المؤرخ الجزائري أبو رأس الناصري (1165-1237هـ) في تأليفه: "عجائب الأسفار" بقوله: "المدرسة المتعارفة عندنا هي التي تبنى لدراسة العلم أي: لتعليمه وتعلمه كمدرسة ابني الالمام بتلمسان، و القشاشية بالجزائر....الخ وان هذه المدارس لم تكن معروفة في أول الإسلام، وإنما كانت دراسة القرآن وسائل العلوم بالمساجد فقط[5]، وهذه المدارس هي عبارة عن بنايات مربعة تحتوي على غرف صغيرة، يدرس الطلبة في هذه المدارس القراءة والكتابة والحساب[6].

أما فيما يخص عدد المدارس قد ذكر ويليام شالر أن مدينة الجزائر كانت تمتلك كثيرا من المدارس والتي كان يقصدها الكتاتيب التي كان يتردد عليها الأطفال[7] من سن 5 و 6 سنوات فصاعدا. ومقارنة لما قدمه شالر نجد أن الكثير من المصادر تحدثت عن هذه المؤسسة لما تحمله من الأهمية الكبيرة حيث كانت تحتوي على نوعين ألا وهي:

أ- المدرسة الابتدائية وتسمى الكتاتيب.

---

[1]- علي خلاصي، المرجع السابق، ص 35.

[2]- ينظر ملحق رقم7، ص142.

[3]- عمار عمورة، المرجع السابق،ص 139.

[4]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق ص 274.

[5]- الشيخ المهدي الوعبدلي، المرجع السابق، ص 89.

[6]- كاثكارت، المصدر السابق ، ص 98.

[7]- وليام شالر، المرجع السابق.

ب- العالية وتسمى بالمدارس، وقد أحصاها الفرنسيون أثناء احتلالهم لمدينة الجزائر بحوالي 80 مدرسة ابتدائية 12عليا[1]، أما سعد الله ذكر أن الأقوال كانت متضاربة حول عدد المدارس الابتدائية والثانوية –العالية، وهذا التضارب يعود إلى أن بعضهم كان يدخل الزوايا والمساجد في عدد المدارس، لذلك فقد لاحظ "أبوراس الناصري"، الذي زار مدينة الجزائر سنة 1214 وجود المدرسة القشاشية وأشاد بها على أساس أنها مركز للتعليم الثانوي والعالي، في حين تحدث "ابن حمدوش" وهو من أبناء مدينة الجزائر عن مدرسة الجامع الكبير، وذكر "بانانتي" أنه كان في مدينة الجزائر ثلاث مدارس عامة، وعند دخول الفرنسيين كان بها حوالي مائة مدرسة من ابتدائية وغيرها[2]. ومن ثمة من نحاول التطرق من هذه المدارس التي كانت منتشرة بمدينة الجزائر كما يلي:

أ- **المدرسة الابتدائية:**

المسماة بالكتاتيب القرآنية وهي عبارة عن غرف داخل زوايا أو دكان موجود في حي من الاحياء، عادة ماكان يحمل اسم الحي أو اسم الواقف الذي أسسه[3]، ويطلق عليها أيضا اسم "مسيد"، وهو بدون شك محرف من تصغير كلمة مسجد[4]، وبهذه الغرف كانت تصنع ما ما بين عشرين وثلاثين تلميذا حيث يجلس الأطفال على الحصر ويتعلمون للبرنامج الذي أعده المعلم: الحروف الهجائية بواسطة اللوح المصلصل والقلم القصبي. ثم القراءة والكتابة والحساب وحفظ القرآن ومن بعدها يدرسون بعض مبادئ الدين الإسلامي إلى غاية سن الرابعة عشر[5]،أما البنات كانت لهم مدارسهن الخاصة بهن، هن يتعلمن فيها السنن والقواعد الإسلامية والقرآن[6]، ويظهر أن الواقفين على بناء وفتح هذه الكتاتيب كانوا من جميع طبقات

[1]- علي عبد القادر حليمي، المرجع السابق ، ص 72.

[2]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 276.

[3]- عمار عمورة، المرجع السابق، ص 139.

[4]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق ، ص 276.

[5]- عمار عمورة، المرجع السابق ، ص 139.

[6]- علي عبد القادر حليمي، المرجع السابق ، ص 272.

المجتمع، فالبشاوات والبايات والموظفون السامون الذين كانوا يشتركون مع الأهالي في هذه المهمة العلمية والخيرية[1]، ومثال ذلك: وجدت وقفية لواقف مجهول خصصها لصالح: "الذي يعلم الأطفال في المدرسة التابعة لمنزله"، وبالقرب من جامع خضر باشا أنشأ الحاج مصطفى بولكباش مكتبا خصصه لتعلم القرآن. كما ألحق الباشا محمد بن بكير بجامع عبدي باشا مدرسة وأوقف عليها وكان الباشا محمد بن محمود هو الذي أنشأ مسيدا لتعليم القرآن للأطفال المسلمين، بالإضافة إلى ذلك وجدت كتاتيب تابعة لبعض الزوايا مثل المكتب الملحق بزاوية سيدي محمد الشريف والمكتب التابع لزاوية أيوب...الخ.

وهكذا أصبحت وظيفة المدرسة الابتدائية هامة في تثقف وتربية الأطفال على قواعد الإسلام، بحيث تقوم بتحفيظ القرآن الكريم الذي هو أساس الثقافة الإسلامية، وتعلم الأطفال مبادئ العلوم والقراءة والكتابة، بحيث تساهم في إعطاء الطفل رصيدا من المعارف التي تساعده على شق طريقه في المجتمع، إلى جانب ذلك كانت تعد شعبا متعلما محصنا، فهي على كل حال كانت تؤدي وظيفة أساسية خصوصا محاربة الأمية[2].

ب- **المدارس العليا:**

فقد أحصاها ويليام شالر بوجود ثلاثة مدارس عليه في مدينة الجزائر[3].كانت هذه المدارس لأبناء الطبقة المحظوظة فيها حيث كانوا يتعلمون الآداب والفقه المالكي والحنفي ثم التوحيد كي يتخرجوا مدرسين أو لكي ينخرطوا بعد حصولهم على الايجازات العليا في سلك العلماء والقضاة أو رجال الدين حيث كانت تعتمد في أداء وظائفها على الأملاك المحبسة[4].
المحبسة[4].

[1]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق ، ص 277.

[2]- المرجع نفسه، ص ص 278-279.

[3]- وليام شالر، المصدر السابق، ص 98.

[4]- علي عبد القادر حليمي، **مدينة الجزائر نشأتها و تطورها قبل 1830**، د.ط، دار الفكر الإسلامي، الجزائر، 1972، ص 272.

أما طريقة التدريس في هذه المدارس كانت تتم عن طريق الحلقة إذ يجتمع الطلبة حول شيخهم الذي يقوم بالاملاء وبالشرح ثم يلقي عليهم الأسئلة، وإذا أذن المؤذن أثناء الدرس قاموا للصلاة جماعة، وبعدها يعودون إما إلى أماكنهم للدراسة[1] ومن أهم هذه المدارس العليا بمدينة الجزائر في القرن الثامن عشر نجد:

المدرسة القشاشية أو مدرسة القشاش، التي اشتهرت بالجزائر، حيث ذكرها أبوراس الناصري شاهدها بالعاصمة عندما زارها لأول مرة[2]، وهي منسوبة إلى جامع القشاش الذي يعود إلى العهد السابق للعثمانيين، والظاهر أن المدرسة متصلة بالزاوية التي تحمل نفس الاسم التي يبدو أنها أحدثت بعد الجامع ذلك لأن أوقاف الجامع وأوقاف الزاوية ليست واحدة والوكيل ليس واحدا، وان أقدم وثيقة تتحدث عن زاوية (مدرسة) القشاش تعود إلى سنة 1162م.

كان لهذه المدرسة أستاذا لتدريس مادة الشريعة الإسلامية والتوحيد، بالإضافة إلى عشرة أساتذة لتدريس مختلف العلوم الأخرى، وهكذا استمرت مدرسة القشاش في تغذية التعليم الثانوي والعالي في مدينة الجزائر[3]، حتى اندثرت هذه المدرسة ولم يبقى عند الاحتلال الفرنسي منها إلا مسجدها الذي كان في نهج القناصل[4]. كما كانت هناك مدرستان في العاصمة وصفتا أنهما في مستوى عال وهما على النحو التالي:

أ. **مدرسة شيخ البلاد:** الظاهر أن هذه العبارة "شيخ البلاد" تشير إلى اسم الحي الذي تقع فيه المدرسة وليس إلى اسم المؤسس لها، ذلك لأن مؤسسها هو الحاج محمد خوجة، أحد كتاب قصر الباشا، حيث كان يملك الكثير من العقارات لذلك قرر وقفها على بناء (مدرسة

[1]– عمار عمورة، المرجع السابق، ص 141.

[2]– الشيخ المهدي البوعبدلي ،المرجع السابق، ص 37.

[3]– أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 281–282.

[4]– الشيخ المهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص 37.

عليا) تحتوي على 5 غرف لسكن الطلبة ورجال العلم، ومادامت هذه المدرسة قد تأسست في أواخر العهد العثماني فهي لم تلعب دورا هاما في نشر التعليم رغم أن تعليمها كان في مستوى الثانوي والعالي[1].

ب. **مدرسة الأندلسيين:** قد جعل الأندلسيون من الزاوية التي أسسوها (مدرسة عليا) لتعليم علوم القرآن ودراسة مختلف العلوم الأخرى وكان التعليم في هذه المدرسة على مستوى راق لأن الأندلسيين قد عرفوا فن التدريس وحسن التربية ومراعاة التطور العقلي للتلاميذ، وتذكر الوثائق أن الفرنسيين قد قضوا على هذه المدرسة أيضا[2].

ج. **مدرسة الجامع الكبير:** كان يدرس فيه 18 أستاذ أو 8 قراء وعدد آخر من العلماء يشغلون وظائف متنوعة، ويذكر المفتي حسن بن رجب أن سيدي عمار كان من أشهر علماء مدرسة الجامع الكبير حيث درس بين 721-1733 وكان بارعا في الحديث والنحو والحساب[3].وهذه المدرسة كانت تشتمل على مسجد صغير من دون منارة، وزاوية خاصة بالعلماء والفقراء وهي تشتمل على طابقين بنيت أو جددت من ربع أحباس الجامع الأعظم في عهد المفتي الشيخ سعيد قدورة[4]، ومن أشهر مدرسيها أيضا علي الأنصاري، أحمد بن عمار، وعلي بن الأمين...الخ. كما كان ضيوف العلماء المسلمين يلقون فيه الدروس ويتتلمذون فيه على يد علماء الجزائر. ورغم القيمة العلمية للمدرسة والزاوية فإن سلطات الاحتلال الفرنسي قد أعطتهما سنة 1249-1833 إلى أحد الأوروبيين فحولها إلى حمام فرنسي[5]، وكان لهذه المدارس العليا مكتبات خاصة وعامة وأغلبها تزدحم بها الكتب المخطوطة، منها الكتب العظيمة للجامع الكبير، ويدل على كثرة الكتب ما روى عنها: "أنه عندما قنبلت السفن المسيحية مدينة الجزائر في القرن 18 خربت جزءا من أسوار المدينة

[1]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 283.

[2]- المرجع نفسه، ص 282.

[3]- علي عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص ص 282-283.

[4]- الشيخ المهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص 38.

[5]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص ص 283-284.

وأصابت الجامع الكبير فأمر مفتي الجامع الكبير بنقل الكتب إلى برج مولاي حسن، وقد خصص لذلك جملين ظلا ينقلان بالكتب لمدة ثلاثة أيام[1].

إضافة إلى الدور الهام الذي كانت قوم به من تعليم وتثقيف ناهيك عن تتكفل بإيواء الطلبة القاطنين بعيدا عن مدينة الجزائر، وأيضا كما كانت تمنح للبعض منهم منحة سنوية من دخل الأوقاف[2].

3- الزوايا:

الزوايا هي عبارة عن مجمعات من البيوت والمنازل مختلفة الاشكال والاحجام، تشمل على بيوت للصلاة كمساجد وغرف لتحفيظ القرآن الكريم والعلوم العربية الإسلامية[3]، ومن جهة أخرى تقوم بتدريس بعض الفنون الأخرى كالفقه والعقيدة وقواعد النحو والصرف وفنون البلاغة ولمنطق ومبادئ علم الفلك[4]، وكان مؤسسو هذه الزوايا هم رجال دين متصوفون متزهدون بدأت حركتهم تظهر في المشرق الإسلامي منذ القرن الثاني للهجرة، حين انتقل الزهد والتصوف إلى بلاد المغرب في أواخر العصر الوسيط ومطلع العصر الحديث[5].

والجدير بالذكر أن بناء الزاوية يختلف عادة عن بناء المسجد والمدرسة، فالزاوية غالبا ما جمعت بين هندسة المسجد والمنزل، فهي قصيرة الحيطان فهي من الناحية الهندسية غير جميلة، وشكلها يوحي بالزعلة والتقشف والهدوء أكثر مما يوحي بالاختلاط والثراء والحركة[6]،

---

[1]- علي عبد القادر، المرجع السابق، ص 273.

[2]- عمار عمورة، المرجع السابق، ص 141.

[3]- سعاد فويال، المرجع السابق، ص 14.

[4]- راجع أحمد، المرجع السابق، ص 21.

[5]- سعاد فويال، المرجع السابق، ص 14.

[6]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 269-270.

كما أنها تملأ مكانا تربويا يحتوي على بعض الخلايا المظلمة المخصصة لإيواء المتشردين أو الدراسة في بعض الأحيان[1].

وقد عرفت الزوايا تطورا إيجابيا في وظائفها من التعليم إلى العبادة إلى حل قضايا الناس وقضاء حاجاتهم، ودور لعابري السبيل و لايواء الفقراء والمساكين. وانطلاقا من نهاية القرن 7هـ-13م أصبحت مكانا يقصده الناس لزيارة الشيخ الصوفي والتبرك به، التماسا للدعاء، حيث كان يدفن بها عند موته وتنتقل إدارة الزاوية إلى أحد أبناء الشيخ المؤسس وأحد اقاربه[2]، ومن ثمة يتضح لنا بأن الزوايا كانت تقوم بدور إيجابي في نشر التعليم بجميع مستوياته في المدن ومن بين الزوايا في مدينة الجزائر نذكر: زاوية القشاشية التي تحولت تدريجيا إلى مدرسة عليا وهذه الزاوية تتبع جامع القشاش الذي سبق وأشرنا إليه، إضافة إلى زاوية شيخ البلاد في مدينة الجزائر، وبالرغم من ذلك إلا أن معظم زوايا المدن كانت معطلة عن التعليم وذلك نظرا لوجود الكتاتيب من جهة والمساجد والمدارس المتخصصة من جهة أخرى، لذلك نجد أنها كانت تؤدي دورا اجتماعيا كإيواء الفقراء والعجزة والغرباء...الخ.

وهناك أيضا الزوايا المنسوبة إلى الجماعة ومن بينها زاوية الأندلسيين اللتين أشرنا إليهما، فقد كانت الأولى خاصة الأولى بعزاب الأشراف، الذين كانت لهم نقابة خاصة، وكان يشرف عليها مجلس من أعيانهم. أما زاوية الأندلسيين كانت تستقبل فقراء وعجزة مهاجري الأندلسيين أو الذين كانوا من أصل أندلسي وكانت تستقبل طلبتهم عند الضرورة. وقد ظلت المؤسستين موجودتين إلى غاية الاحتلال الفرنسي[3]، إضافة إلى زاوية الجامع الكبير كانت بإزائه بنهج باب الدزيرة (الجزيرة) مشتملة على مسجد بدون منارة ومدرسة للصغار وطابقين

---

[1]-Albert devolux, **les édifices religieux de l'andienalger typographie-basyide**, alger, 1870, p 11

[2]- كفاح جرار، **زوايا ثائرة من اللوحة إلى البندقية** ، ط 1، منشورات الأنيس للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت، ص 27.

[3]- نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص 166.

فيهما بيوت للعلماء الغرباء أو الفقراء منهم الذين لا مأوى لهم[1]، وقد كان للزاوية أوقافها مثل المسجد، حيث كان الناس يميلون بأوقافهم وأفعالهم الخيرية إلى الزاوية أكثر من ميلهم إلى المسجد والمدرسة حين كان بعض الزوايا غنية مثل زاوية المجاجي، القيطنة، وزاوية سعيد قدورة التابعة للجامع الكبير، وكانت بعض الزوايا متخصصة في استقبال نوع معين من الضيوف بنصوص أوقافها مثل زاوية مولاي حسن بالعاصمة كانت عبارة عن دار سكن للعزاب، أما زاوية سعيد قدورة مخصصة لاستقبال فقراء العلماء، عكس زاوية شيخ البلاد فلا يسكنها إلا الطلبة العثمانيون.

4- الأوقاف ومؤسساتها:

يعتبر الوقف من أهم مظاهر الحضارة الإسلامية فهو تعبير عن إرادة الخير في الانسان المسلم وعن تضمنه مع المجتمع الإسلامي[2]، لذلك هو باب من أبواب الخير، والتقرب إلى الله سبحانه وتعالى، تستمد فائدته في حال الحياة الواقف وبعد وفاته لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية، أو علم ينتفع به بعد موته، أو ولد صالح يدعو له"[3].

وقد شهد التاريخ الإسلامي تجربة لدور الوقف في دعم المنشآت التعليمية، كما كان له الدور الفعال في نشر التعليم في الدول الإسلامية، حيث أن الأوقاف العلمية كانت من أهم ما اعتنى به المسلمون في تاريخهم[4]، حيث اهتم البايلربايات بتشييد المساجد وسخروا أوقافا

[1]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 270.

[2]- سعاد فويال، المرجع السابق، ص 22.

[3]- حمداني هجيرة، **نظرة حول تاريخ الأوقاف في الجزائر**، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، د.مج، ع 32، جامعة بابل، العراق، نيسان 2017، ص 17.

[4]- هشام بن غرة، **إحياء نظام الوقف في الجزائر**، نماذج عالمية لاستثمار الوقف، مجلة البحوث الاقتصادية والمالية،د.مج، ع 3، جوان 2015، جامعة تلمسان، الجزائر، ص 123.

طائلة على مشاريع البر والإحسان[1] واجروا المياه للمنفعة العامة وأنواع الوقف كثيرة فهناك من يوقف عقارا من أرض أو دكانا أو دارا أو نحو ذلك[2].

في نفس السياق نجد أن شالر لم يتحدث عن الأوقاف رغم أهميتها إلا أنه أشار أن مذهب القاضي يعد من أخطر الوظائف حيث كان يرث جميع الأشخاص الذين يتوفون دون أن يتركوا أية وصية، والأشخاص الذين لا وارث لهم، وسلطته تمتد إلى جميع أراضي المملكة لذلك كانت تبعث الرعب في النفوس، مما دفعهم بوقف أملاكهم على الحرمين الشريفين متى لم يكن لديهم وارث شرعي، وهذا الترتيب يحرم بيت المال من أي قسط من التركة، وللأشراف على ربع من هذه الأوقاف[3].

وهكذا نجد من أقدم الواقعين العمانيين في مدينة الجزائر خير الدين بربروس وخادمه الذي أعتقه وهو عبد الله صفر، الذي بنى الجامع المعروف بجامع سفير (صفر) سنة 1534 كما أوقف عليه خير الدين نفسه قطعة أرض هامة، محمد بكداش الذي بنى زاوية للإشراف وأوقف عليها، ومحمد باشا الذي جدد جامع السيدة، وخضر باشا الذي بنى مسجدا يحمل اسمه...الخ[4]، وهناك وثائق عديدة تثبت أن النساء كن يشتركن في الوقف أيضا: فأخت خضر باشا وهي السيدة قمر بنت القائد محمد باي قد أوقفت على جامع أخيها الباشا بعد وفاته، والسيدة مريم وهي من عائلة ابن نيكر والأندلسية قد أوقفت أوقافا على الجامع المعروف باسمها (جامع السيدة مريم)[5]، أما عن المؤسسات الوقفية في مدينة الجزائر وقد

[1]- عمار بوحوش، المرجع السابق، ص 212.

[2]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 230.

[3]- وليام شالر، المرجع السابق، ص 49-50.

[4]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 235.

[5]- المرجع نفسه، ص 236.

تعددت هذه المؤسسات بتعدد الأهداف المرجوة منها والمهمات التي أوكلت إليها لعل من أهم هذه المؤسسات في مدينة الجزائر نذكر[1]:

1- مؤسسة الحرمين الشريفين: تعد هذه المؤسسة من أهم المؤسسات الخيرية بمدينة الجزائر نظرا للنشاطات التي كانت تقوم بها والمكانة التي تحتلها، فقد شملت نسبة كبيرة من العقارات الموجودة داخل مدينة الجزائر[2].

فقد كانت هذه المؤسسة تمتلك حوالي ثلاثة أرباع الأوقاف في ايالة الجزائر، وقد قدر عدد أوقاف في مدينة الجزائر وضواحيها حوالي 1419 ملكية زراعية وعقارية، وكانت غلة هذه الأوقاف تصرف على إصلاح مباني الأوقاف العقارية داخل المدينة وإصلاح مكاتب هذه المؤسسة دفع نفقات موظفي المؤسسة...الخ[3].

2- مؤسسة سبل الخيرات: وهي عبارة عن جمعية كانت تشرف على ثمانية مساجد في العاصمة، وقد بلغ دخلها حوالي 13.239 فرنكا[4]، كان يشرف عليها موظف يعرف بالشيخ الناظر ويسهر على رعاية أملاكها، وأموالها غالبا ما كانت تنفق على بناء المساجد والزوايا أو ترميمها، أو في انشاء بعض العيون وتعهد الثكنات، وأيضا تتكفل بدفع أجور الطلبة المكلفين بتلاوة القرآن الكريم بالمساجد وتوزيع بعض الصدقات[5].

---

[1]- أعقيل نمير، **المؤسسات الوقفة الجزائرية في العصر العثماني ودورها في الحياة الاجتماعية والاقتصادية**، أوقاف المساجد التابعة لمؤسسة سبل الخيرات أنموذجا، مجلة دراسات تاريخية،د.مج ،ع110-11،أيلول-كانون الأول، قسم التاريخ، جامعة دمشق، سوريا، 2011، ص 258.

[2]- فهيمة عمريوي، **إسهام الجيش الانكشاري في أوقاف الحرمين الشريفين خلال القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر ميلادي**، مجلة العلوم الإنسانية،د.مج،ع 41، جامعة خميس مليانة، الجزائر، جوان، 2014، ص 63.

[3]- أعقيل نمير، المرجع السابق، ص 259.

[4]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 160.

[5]- ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 134.

ومن بين المساجد التابعة لإدارة سبل الخيرات (جامع كتشاوة) وكذلك جامع علي بتشين....الخ، الذي سبق وأن اشرنا إليها وكانت ذات نفوذ كبير في المجتمع والدولة وذلك لأهمية الأوقاف التي كانت تتلقاها[1].

3- أوقاف مكة والمدينة:

كانت هذه الأوقاف مخصصة لإيواء فقراء مكة والمدينة مجانا، وكان الفائض منها يذهب إلى فقراء الأماكن المقدسة سواء كانوا في المشرق أو في الجزائر[2]، حيث كانت مؤسسة مكة والمدينة تدير بعض الأوقاف المحلية سواء كانت مالكية أو حنفية، وتدل الإحصائيات التالية على أهميتها في الحياة الاجتماعية فقد كانت تملك في أواخر العهد العثماني، 840 منزلا، 258 دكانا، 23 مخزنا، 82 غرفة، 3 حمامات...الخ.

ومعظم هذه الأوقاف ألحقت بمصالح الدولة الاستعمارية، نهيكا لأهمية السياسية كما كانت تمثل وجه الجزائر في العالم الإسلامي[3]، وعموما أن الأوقاف الجزائرية خلال العهد العثماني كانت تلعب دورا هاما في حياة المجتمع، حيث كانت توفر مناصب شغل هامة، تساهم في إصلاح حال الفقراء والمحتاجين في داخل الدولة وخارجها، وترقية العلم...الخ إلا أنها بدأت تعرف تقهقرا وتراجعا خلال العهد الاستعماري بسبب مصادرتها من طرف المستعمر[4].

---

[1]- أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص ص 237-238.

[2]- المرجع نفسه، ص 160.

[3]- المرجع نفسه، ص 238-239.

[4]- فارس مسدور، **الأوقاف الجزائرية بين الاندثار والاستثمار**،د.مج، د.ع، جامعة سعد دحلب، البليدة، د.ت ،ص 2.

المبحث الثاني :الحياة العلمية ومراحلها:

يعتبر التعليم من القواعد الأساسية التي تساعد على ازدهار الثقافة وانتشارها في المجتمع، ورغم أهمية البالغة، نجد لم تهتم حكومة الداسات في الايالة عامة ومدينة الجزائر على وجه الخصوص بميدان لتعليم بل تركته للعامة، لذلك انخفض مستوى التعليم والثقافة في المدينة، رغم كونها عاصمة البلاد،ولعل عدم اهتمام الاتراك بالثقافة والتعليم وذلك لانشغالهم بالحروب، مما يفسر أن الرقي والازدهار الذي شهدته المدينة حققه الجزائريون بأنفسهم' بعدما أدركوا أهمية التعليم ودوره في المجتمع، لهذا كانوا حرصين على تعليم أبنائهم،فحفظ القرآن كان الأساس سواء كان تعليما ابتدائيا أو ثانويا أو عاليا، أما تعلم بعض العلوم العملية كالحساب غرض ديني بالدرجة الأولى، ومن خلال الدور البارز الذي لعبه التعليم في ازدهار المجتمع الجزائري حيث جعل كتب الرحالة الأجانب تشهد على أن التعليم كان منتشرا في الجزائر وأن كل جزائري كان يعرف القراءة والكتابة.

1- طرق تعليم الصغار:

بالنسبة لكيفية تعليم الأطفال الصغار التي كانت متبعة في مدينة الجزائر أثناء العهد العثماني نجد أن القنصل الامريكي شالر قد أشاد بالطريقة المنتهجة في الكتاتيب، والتي كانت تتم عن طريق لوحة يحملها كل تلميذ يمكن الكتابة عليها ومحو ما كتب منها بكل سهولة، وهذه اللوحة تكتب بوضوح سورة من القرآن، ثم يقوم بقية التلاميذ بنقلها بعناية، كل على لوحته وبالتوالي والتلميذ الذي يتعلم معنى الكلمة وطريقة كتابتها يقوم بتعليم ذلك لتلاميذ الآخرين.

ويسهر على تعليمهم تلميذ كبير أو معلم يجلس في مكان مرتفع (سدة) وبيده عصا يستعين بها أثناء الدرس ويقدم الدرس بصوت مرتفع، وبهذه الطريقة يكون التلميذ قد تعلم مبادئ الكتابة والقراءة ويتم تعليمه عندما ينتهي من حفظ القرآن ويعرف كل الفرائض، كما

أشار إلى جمال ووحدة الخط العربي[1]، وأشاد به وبالتالي هناك المصادر قدأكدت ذلك وفق ما ذكره شالر، فقدتحدث سعد الله عن المدن والقرى الكبيرة التي كانت تدعى (بالمسيد) كان يتعلم فيها التلاميذ الصغار[2].

2- مراحل التعليم:

من المعروف أن التعليم في مدينة الجزائر إبان العهد العثماني قد مرّ بـ 3 مراحل أساسية ألا وهي:مرحلة التعليم الابتدائي والثانوي والعالي.

1- مرحلة التعليم الابتدائي: فنجد أنه من سن 5 وصاعدا كما سبق في هذا السياق يذكر شالر أن الطفل يتعلم مبادئ القراءة والكتابة[3]، ابتدءا من سن 5 سنوات فصاعدا وهناك من ذكر أن مدة التعليم الابتدائي حوالي 4 سنوات يتعلم من خلالها أركان الإسلام وشعائر الدين وحفظ القرآن. وعندما يجتاز الطفل هذه المرحلة بنجاح عادة ما تكون بختم القرآن[4] تقدم له التهاني والهدايا وتقيم الأسرة مأدبة أكل تدعو إليها الأصدقاء والجيران[5] وإذا كان من الفقراء فهم يكتفون بهذا القدر من التعليم، أما الأغنياء فيواصلون تعلمهم حتى المرحلة الثانوية[6].

2- المرحلة الثانوية: من الملاحظ أن القنصل شالر لم يخص بالذكر المراحل المتبقية للتعليم بل اكتفى بالحديث عن مرحلة التعليم الابتدائي في حين تحدثت العديد من الكتابات التاريخية بأن التلميذ في هذه المرحلة يستطيع أن يواصل تعليمه الثانوي في الجامع أو في المدرسة الملحقة بالأوقاف حيث كان التعليم فيها مجانا، وكان الباي هو الذي يسمى المدرس

[1]- وليام شالر، المرجع السابق، ص 82.
[2]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 162.
[3]- وليام شالر، المصدرالسابق، ص 82.
[4]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 163.
[5]- عمار عمورة، المرجع السابق، ص 140.
[6]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 163.

باقتراح من الناظر[1]، كان التلاميذ يتعلمون اللغة وفروعها كالصرف والنحو والحساب وغيرها من العلوم[2]، حيث كان يتلقى العلم في هذه المرحلة حوالي 3.000 تلميذ في كل إقليم من الأقاليم الثلاثة، وفي النهاية ينال الطالب ما يعرف بـ (إجازة) تشهد له بأنه قد درس جميع العلوم التي تدخل في نطاق تخصصه والإجازة عبارة عن تعبير شفوي من المدرس إلى التلميذ ومتى حصل عليها (الاجازة) يصبح طالبا يستطيع قراءة القرآن في الجامع ويتولى وظيفة مؤدب أو كاتب[3].

3- مرحلة التعليم العالي: لما ينتقل الطلبة من التعليم الثانوي مباشرة إلى المعاهد العليا ما يشبه في يومنا بالجامعة كانوا يدرسون باللغة العربية مختلف العلوم الفقهية والعقائد والأدب وقواعد النحو والصرف وفنون البلاغة ومواقيت الصلاة ثم الرسم لزخرفة المخطوطات والطب والتاريخ[4].

ومن الملاحظ أنه رغم افتقار الجزائر إلى المعاهد العليا في حجم: جامعة الأزهر (بمصر)، والقرويين (المغرب) والزيتونة (تونس) إلا أن الدروس كانت تلقى في بعض جوامعها[5] أهمها في مدينة الجزائر كالمدرسة القشاشية، مدرسة الجامع الكبير التي كانت تعد تعد شبه جامعة لشهرة العلماء الذين كانوا يدرسون بها، وللمرافق التعليمية التي كانت تحتويها مثل المكتبة ومرقد الطلاب والأساتذة...الخ، كذلك تخرج منها عبر السنين عدد معتبر من العلماء سواء داخل الوطن أو خارجه[6]، وهناك عدد كبير من الجزائريين تخرجوا على هذه الطريقة في العهد العثماني، لكنهم اختفوا في بداية الاحتلال أمثال حمدان خوجة ووالده[7]،

[1]- ابو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 163.
[2]- أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 334.
[3]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 165.
[4]- عمار عمورة، المرجع السابق، ص 140.
[5]- أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 335.
[6]- عمار عمورة، المرجع السابق، ص 140.
[7]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 165.

وفي هذا المضمار ذكر سعد الله أن التعليم العالي والثانوي بأن المعلم أو ما يعرف بالمدرس كان من المحظوظين لأن استطاع أن يصل إلى هذا المستوى من التعليم، لذلك كان عليه أن يشق طريقه لأن أكبر خصومه هم أصحاب مهنته، إضافة إلى ذلك كان التعليم عموما غير مريح، ولا مرغوبا فيه عند الكثيرين لذلك اتخذ المعلمين من التجارة حرفة بدلا منه، ومعنى ذلك أن مهنة التعليم حرفة بدلا منه، ومعنى ذلك أن مهنة التعليم كانت لا تفي بحاجاتهم المعاشية، لذلك لاحظ التمغروطي أن طلبة الجزائر كانوا ماديين وهو يعني أنهم كانوا لا يهتمون بالتعليم كمهنة بل كانوا يلجأون إلى غيره لكسب الرزق واستقرار المعيشة[1]، ولا شك أن سبب تهرب المعلمين من هذه المهنة ربما يعود إلى قلة أجورهم مقابل ما يقومون به من تدريس وتثقيف وتحفيظ الأطفال.

حيث لاحظ القنصل شالر خلال فترة تواجده بالجزائر، أن النظام التربوي لا يكلف إلا قليلا من المال[2]، وهناك من ذكر أن المؤدب أو الطالب مقابل تحفيظ القرآن لأبناء الأهالي فقد كان يتقاضى كيلا من الحبوب أي حوالي 50 كيلا من الشعير سنويا من الأهالي[3]، وهناك أيضا من ذكر أن التلاميذ كانوا يدفعون للمدرسين ثلاثة إلى أربع أرباع بوجو في كل قمر، كما كان بعض المدرسين يتلقون منحة سنوية من الحكومة، إلى أجانب الهدايا التي كانت تمنح لهم في المناسبات من طرف الأولياء[4]. وهناك من تحدث بأن الأوقاف هي كل شيء وكون الدين هو المتولي للنفقة على التعليم، ومنهم من رأى أن نفقات التعليم كانت هينة جدا لا تكلف الدولة إلا مبالغ زهيدة، ومنهم من تحدث على أن التعليم في الجزائر العثمانية كان مجانيا وحرا[5]، وبالتالي كان معلم الأطفال يتقاضى أجرة عن طريق أولياء

[1]– ابو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص ص317–318.

[2]– وليام شالر، المصدر السابق، ص 82.

[3]– علي عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص 271.

[4]– أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 334.

[5]– أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 327.

التلاميذ[1] للتلميذ. حيث كانت كل أسرة تدفع على قدر حالها، وفي الأعياد وعندما يحفظ الطفل القرآن يأخذ المؤدب أجرا إضافيا وكثيرا ماكان المؤدب يجمع بين وظيفة تحفيظ القرآن، ووظائف أخرى الامامة والآذان[2]، وبناءا على بعض التقديرات فقد كان المؤدب يأخذ حوالي ثلاثين فرنكا شهريا على كل طفل موزعة كما يلي: أربعة عشر أجرة، خمسة في شكل هدايا في الأعياد، وإحدى عشر عطايا خلال مراحل تعلم الطفل، وكان لكل مؤدب ما بين عشرين وثلاثين طفلا فيكون معدل دخل المؤدب اليومي حوالي فرنكين، وهنا المؤدب كان يأخذ يشكو ماديا، وقد ذكر باحث أن المؤدب كان يأخذ ما يعادل (بيني) انجليزي أسبوعيا[3].

ولم يحدد أحدهم مقدار ما يدفعه لتلميذ في عهده ولكنه قال ان تكاليف التعليم الابتدائي أو القرآني كانت هنية جدا، وأقر بأن هناك تكاليف يتحملها الآباء، ومن الواضح أن تكاليف التعليم الابتدائي لم تكن كلها في شكل نقود أسبوعية أو شهرية للمؤدب بل كان الآباء، يرسلون أشياء أخرى غير مالية للمؤدب كالثياب والحطب والحلويات والقمح...الخ. وهذا كله يتوقف على وضعية العائلة ومكانتها في الريف والمدينة.

ولكن إذا كانت أجور المؤدبين وافرة ومستقرة نسبيا فإن مرتب المدرس والأستاذ كان غير مستقر وغير مضمون فالوقف قد لا يكفي حاجة الجامع والزاوية والهدايا قد لا تأتي في مناسبتها لأنها مرتبطة بأمزجة أصحابها وظروف العائلات ومادام المدرس والأستاذ لا يشعر بالأمن في رزقه، لأنه لم يكن يتمتع بأجر ثابت من بيت المال[4]، وبالتالي هذا هو كل ما يجنيه المدرس والأستاذ من فوائد مالية بلهناك سكن وبعض الامتيازات الأخرى تمنح له، وكان بعض المدرسين والأساتذة يتولون وظائف أخرى كوكالة الوقف والامامة والخطابة والفقهاء...الخ، كانوا يجنون منها أموالا هامة ويحصلون على الحلوى يوميا خلال شهر

[1]- عمار عمورة، المرجع السابق، ص 140.

[2]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 162.

[3]- المرجع نفسه، ص 330.

[4]- ابو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 331.

رمضان والملابس أثناء العيد، وتتراوح رواتبهم السنوية من الأوقاف بين مائة ومائتي فرنك[1].

4- موقع المرأة من التعليم:

كانت للبنات مدارسهن الخاصة، يتعلمن فيها السنن والقواعد الإسلامية والقرآن من خشيتهن[2] حيث كن يتعلمن حيث كن يتعلمن في مدارس تعليمهن لا يتعدى مرحلة الابتدائي[3]مما يؤكد ما ذكره شالر خلال الفترة التي قضاها في الجزائر أن فيها مدارس خاصة لتعليم البنات وتشرف على إدارتها نساء[4]، أما المؤرخ سعد الله كان يرى أن المرأة لم يعطى لها نصيبا من التعليم في العهد العثماني، نتيجة غياب المرأة الجزائرية المسلمة طيلة هذا العهد على المسرح الرسمي، فلا أميرات ولا سيدات مجتمع شاركن في الحياة العامة، ومع ذلك فقد كان بعض الآباء قد علموا بناتهم القراءة والكتابة وبعض القرآن الكريم وقواعد الدين ومبادئ اللغة حيث ذكر محمد بن سلمان أن العالم "الصوفي عبد الوهاب بن حميدة" كان شيخا لأمه، وأخبر "أبوراس" أن أمه كانت كرابعة العدوية علما وتقوى وأينما ورد في بعض الوثائق أن وزير البحرية، (وكيل الحرج) قد جاء بمعلم العربية[5] إلى داره ليعلم بنتيه فكانت واحدة منهمها قد حفظت ثلث القرآن وتعلمت القراءة والكتابة وعمرها لا يزيد عن أربعة عشرة سنة، لكن أصحاب البيوتات الكبيرة كانوا يجلبون أستاذ معروفا بصلاحه وعلمه لتعليمهن[6].

5- أهم العلوم:

---

[1]- ابو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 329.

[2]- علي عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص 272.

[3]- عمار عمورة، المرجع السابق، ص 140.

[4]- وليام شالر، المصدر السابق، ص 82.

[5]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص ص 336-337.

[6]- أبو القاسم سعد الله، **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث**، المرجع السابق ، ص 162.

لا شك أن الحديث عن العلوم في الجزائر مقارنة بإنتاج في التصوف والادب فإن العلوم الأخرى كالطب والرياضيات والكيمياء والفلك وغيرها كانت ضعيفة ومتواضعة[1]، ما جعل القنصل الأمريكي القنصل شالر يقول عن العلوم في الجزائر: "أما حالة العلوم فإنه لا جدوى فيه الحديث عنها، حيث أنها غير موجودة أو هي متى كانت موجودة، محتقرة، وأن القرآن هو كل علوم هؤلاء القوم وآدابهم"[2]، وهناك من يشير أن هناك بعض البشاوات والمسؤولون العثمانيون على بعض الأرقام المسيحيين الذين كانوا يلبون حاجات الباشا[3]، ما يؤكد قول شالر: "أن بعض الرياس الأجانب البحرين وربانية السفن تعلموا من الأجانب تحديد العروض وقاموا بترجمة الجداول الفلكية إلى العربية وهم يستعملونها لهذه العمليات في البحر الأبيض"[4].

أما في ميدان الطب فنجد أن الجزائريين قد أهملوه سواء القديم أو الأوروبية المعاصر، فلم يكن هناك مستشفيات باستثناء الزوايا التي كانت تأوي العجزة والمرضى، حيث كان المرجع في هذا الميدان هي كتب الأقدمين لابن سينا، وكانت فوائد الأعشاب معروفة عند الناس، فألف الشيخ عبد الرزاق الجزائري كتابا في فوائد الأعشاب، والذين يقومون بالعلاج هم غالبا مرابطون يداوون بالجن والأرواح وليس بالعلم، أما أعمال الجراحة فكان يقوم بها الحلاقون الذين يلجأون إلى استعمال الكلى، والجدير بالذكر أن مدينة الجزائر مستشفى منذ القرن 16م كان يوجد بها اسباني خاص بالمسيحيين لم يكن للسلطة العثمانية أي تدخل فيه سوى تعيين "**جراح باشي**" وفي بعض الأحيان كانت السلطة تستفيد من خبرة الأطباء الأجانب الذين يأخذون أسرى أمثال "سيمون بيفايفر" الطبيب الخاص الذي كان يعالج الجرحى الأتراك والأهالي، ولعل ضعف الطب هو الذي يفسر ارتفاع نسبة موت الأطفال في

[1]– أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 335.

[2]– وليام شالر، المصدر سابق، ص 81–82.

[3]– أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 168.

[4]– وليام شالر، المصدر السابق، ص 81.

الجزائر وانتشار بعض الأمراض[1]. مما يفسر ما ذكره شالر عن ميدان الطب في قوله: "إن عالم الطب نفسه لا يوجد من يدعيه، هذا إذا استثنينا المشعوذين وكتاب الحروز"[2].

وأيضا هناك بعض الكتاب عن ميدان الطب حسب شالر: أن حرفة الطب بالجزائر الابن عن أبيه ولهم كتب قيمة في هذا المجال، ترجع في أصولها إلى علم الطب والجراحة لأطباء عرب من العصور الوسطى، وهي حرفة سرية أصحابها ماهرون في علم ثقب العظام، أو استبدال عظام الإنسان بالحيوان، إضافة إلى أن لهم دراية بطب العيون ويستعملون الأدوات التقليدية في عملياتهم الجراحية ونسبة نجاحهم في هذا الميدان مرتفعة رغم بساطة هذه الأدوات الجراحية[3]، أما أبو القاسم سعد الله تحدث عن مساهمة الجزائريين في علوم أخرى وخصوصا الحساب الذي له صلة قوية بعلم الفرائض ومن هؤلاء ابن القنفذ الذي سماه (حط النقاب)، وهو يعني بالكلمة الأخيرة (تلخيص عمال الحساب)، إضافة إلى ذلك ساهم الجزائريون في علم الفلك والميقات، فألف ابن القنفذ شرحا عل أرجوزة ابن أبي الرجال في الفلك والتنجيم[4].

المبحث الثالث: الحياة الدينية والأدبية والفنية:

[1]– أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 169.

[2]– وليام شالر، المصدر السابق، ص 81.

[3]– علي عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص 274.

[4]– أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي1500–1830**، المرجع السابق، ص 114.

لا شك أن الحياة الفكرية والأدبية والفنية في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني كانت فيها بعض المحاولات ولكنها لا تدل على نهضة ثقافية بحيث لم تكن هناك حركات تجديد ولا انتفاضات علمية، ورغم أن العربية هي لغة الشعب فإن الدولة قد اتخذت التركية بلغة رسمية لها. لذلك كان انتاج اللغة العربية يكاد ينحصر في الموضوعات الدينية والتعليمية وقليل من الشعر.

1- اللغة:

ونجد أن اللغة العربية انتشرت في العواصم الجزائرية بين جميع طبقات الشعب[1]، حسب ملاحظات القنصل شالر أن اللغات المستعملة للحديث في مدينة الجزائر هي اللغة العربية، والتركية والعبرية[2]، وكذلك أشار إلى بعض لغات التي كانت تتحدث بها الطبقات الاجتماعية، أشار كلهجة الميزابيون الذين يتحدثون اللغة التي يتحدثها القبائل ولغتهم أنقى وأكثر أناقة، إضافة إلى ذلك الشاوية أو اللغة التي يتحدث بها سكان الجبال المستقلون وهي لغة قديمة وأصيلة كما ذكر لغة المور وهي لهجة محرفة عن العربية الفصيحة كما أنهم يدينون بالإسلام[3].

وهناك من ذكر أن الجزائريون ليس لهم آداب وأن اللغة الأصلية لهذه البلاد هي اللغة الفينيقية، فالجزائر بين بصفة عامة لغة مركبة من العربية والموريسكية وما تبقى من اللغة الفينيقية القديمة[4]، كما أشار شالر أن اللغة التركية هي لغة الإدارة رغم أن العربية هي لغة أغلب السكان كانت اللغة الفرنسية تستعمل في دوائر الأعمال والوكلاء الأجانب الذين يقيمون في المدينة، أما اللغة الفرنسية LANGUE FRANCA والتي هي خليط من

[1]- عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، ج.2، ط.2، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1965، ص 386.

[2]- وليام شالر، المصدرالسابق، ص 39.

[3]- المصدر نفسه، ص ص107-112.

[4]- جيمس ويلسن، المرجع السابق، ص 161.

الاسبانية والفرنسية والإيطالية والعربية وهي واسطة الاتصال بين الأجانب والأهالي[1]، وهناك من ذكر أن لغة "LINGA FRANCA" تستعمل عند التبادل التجاري مع الدول الأوروبية التي تتعامل مع الموانئ، الجزائرية لذلك ازدهرت الثقافة واشتهر عدد من العلماء في القرنين 18 و 19م[2].

2- الدين:

يشير شالر بأن الدين القائم في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني هو الدين الاسلامي الذي يدين به الجزائريون ولا يوجد في البلد دين آخر[3]. كما بقوله: "أنه وصلت لنا معلومات منذ العصور العابرة تتهم سكان هذا البلد أنهم يدينون بديانة أخرى غير دينهم والتعصب الديني سكن أنا وجدتهم مهذبين ومتمدينين وإنسانيين ولا يدينون بدين آخر إلا دينهم الإسلام"[4].

وقد كان الشعب الجزائري على المذهب المالكي، أما الاتراك والكراغلة فكانوا يعتنقون المذهب الحنفي الذي أصبح في عهدهم هو المذهب الرسمي، إلى جانبهم توجد أقلية يهودية لا تتعدى 1% من مجموع السكان لها معابدها الخاصة وتمارس شعائرها الدينية بكل حرية وتمتلك مدارس تعلم فيها اللغة العبرية[5]، حسبما ورده السيد شالر حيث قال أن "اليهودية مسموح بممارستها في الجزائر"[6]، إضافة إلى وجود عدد قليل من المسيحيين إلا أنه كانت توجد كنائس بمدينة الجزائر كانوا يتعبد فيها الأحرار والأسرى المسيحيون بكل حرية[7].

---

[1]- وليام شالر،المصدر السابق ، ص 39.

[2]- عميراوي أحميدة، المرجع السابق، ص 436.

[3]- وليام شالر، المصدر السابق، ص 39.

[4]-المصدر نفسه، ص 80.

[5]- عمار عمورة، المرجع السابق، ص 134.

[6]- وليام شالر، المرجع السابق ، ص 39.

[7]- عمار عمورة، المرجع السابق ، ص 134.

وتحدث سعد الله عن علاقة العثمانيين في الجزائر بالدين وأهله، مما يفسر ظهور الطرق الصوفية أو (التصوف) التي كانت ظاهرة اجتماعية حضارية عامة في المجتمع الإسلامي، انتشرت قبل مجيء العثمانيين، وقد شاع التصوف في الجزائر بفضل مدرسة عبد الرحمن الثعالبي ومحمد بن يوسف السنوسي وأحمد زروق وغيرهم ومن الطرق التي شاعت في الجزائر قبل العثمانيين أيضا منها الشاذلية والقادرية، كان لها ولأهمية عند السكان مما دفع العثمانيون بمحاولة التفاهم مع مرابطيها وأحيانا وقفوا منها موقف الحياد، ونجد في المدن ظل العلماء والمرابطون على تحالفهم مع العثمانيون طالما أن هؤلاء يضمنون لهم العيش الرغد والتعويضات اللازمة.

وفي هذا السياق نجد أن معظم المؤرخون اتفقوا على ان الاتراك كانوا من الناحية الدينية مسلمين راسخي العقيدة، لأنهم كانوا يعرفون أن الإسلام هو رصيدهم السياسي ومصدر قوتهم، لذلك أقاموا دولتهم ونظامهم على الجهاد منذ ظهورهم[1].

3- الفن و الموسيقى :

يظهر انه رغم اختلاف وجهة نظر العلماء حول الموسيقى و الغناء، بحيث لم يكن يستغني عنها المجتمع الجزائري، وهناك ثلاث مناسبات على الأقل تشيع فيها الموسيقى و الغناء و الرقص: المناسبات الاجتماعية كحفلات الزواج و لقاء السيدات في الحمام و المولد النبوي الشريف، و المناسبات الرسمية كتولي الباشا الجديد و حفلة الدنوش، وتذكر بعض المصادر بان السلطة كانت تجازي العازفين بهدايا و عطايا مناسبة فقد كان رئيس الموسيقيين (اوالباشزرناجي) يتقاضى بمناسبة المولد النبوي النبوي ، بعشرة بوجات[2]

[1]- أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص ص 187-189.

[2]- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي1500-1830**، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998، ص440

وروى الزهار ان النساء أيضا كن يعزفن الموسيقى اثناء حفلات الدنوش، بالإضافة الى عازفين من الرجال، اتراك و جزائريين.

وهذا بالطبع خارج نطاق الموسيقى العسكرية المعروفة بالنوبة[1]، والتي كانت بالطبيعة في الدرجة الأولى، و هي لذلك تعكس أصولها العثمانية. و التي تتكون من فرقة الاوجاق العسكرية من سبع و عشرين قطعة، و ثمانية من بينها طنابير عريضة تدعى الأول، يضرب عليها بالاصابع، و هناك خمس الات نحاسية عريضة تدعى النكاريات، و هناك عشر مزامير مرصعة و بوقان، اما الطراز الموسيقي فكان من نوع المختار mehter وهو طراز شديد الحدة النغمية و قد اصبح شعبيا في الإمبراطورية العثمانية من طرف الجند الانكشاريين[2].

وقد ذكر فاغنر أن فرقا زنجية كانت تجوب في احياء المدينة عازفا انغاما موسيقية صاخبة، بواسطة الطنابير و الصفائح الحديدية، و موسيقاهم ذات إيقاع همجي، وتصاحبها حركات الفنانين السود، و تمثيلهم الصامت و اهتزازات أجسادهم ، منتظرين نقودا يهديها لهم الناس[3]، أما الموسيقى الحضرية فكانت اكثر تنوعا وتنغيما كما انها قد بلغت من التعدد و التنوع إلى أن أصبحت لها فرقة ضخمة تبغ العشرين أو الثلاثين عازفا، أما موسيقى الأتراك التي جاؤوا بها معهم الى الجزائر بعد استقرارهم بها فقد شاعت بحدود ضيقة، و هي لا ترقى إلى موسيقى الحضر أو الأندلسية، و تمتاز موسيقى الترك، غير العسكرية، بحزن نغمتها

[1]– احمد شريف الزهار، المصدر السابق، ص ص38 –37

[2]–وليم سبنسر، المرجع السابق، ص121

[3]–بلبراوات بن عتو، المرجع السابق، ص142

الخاتمة

خاتمة:

وبناء على ما تقدم نخلص إلى بعض النتائج توصلنا إليها بعد هذه الدراسة ومن خلال ما تم عرضه بعد الاطلاع واستنطاق الكتابات التاريخية المتاحة حول الموضوع ضمن مختلف فصول الدراسة وفق النقاط التالية:

1. أن الفترة العثمانية من اهم فترات في تاريخ الجزائر الحديث، وذلك لاختلاف نظرة الكتاب والمؤرخين إلى الجزائر والتي نستقيها من شهادات الأسرى والقناصل، التجار، .....الخ.
2. كنموذج اتخذنا وليام شالر الذي عين قنصلا على الجزائر وذلك بعد تطور العلاقات بين الجزائر وامريكا والذي ترك لنا مذكرات ذات قيمة بالغة الأهمية عن الجزائر خلال الفترة التي قضاها في الجزائر.
3. من خلال الدراسة توصلنا إلى التعريف بشخصية القنصل وليام شالر من خلال مولده، أهم أعماله، ومؤلفاته ووفاته بهافانا.
4. ان الموقع الجغرافي لمدينة الجزائر رشحها أن تكون مركزا للسلطة العثمانية منذ سنة 1518م، حيث تبين لنا أهمية الموقع من خلال وصف العديد من المؤرخين لها.
5. تميزت الجزائر بتنوع شرائح سكانهم ويظهر ذلك بوضوح في الجانب الاجتماعي لمدينة الجزائر الذي اتخذ شكلا هرميا، حيث نجد في قمة الهرم: فئة الاتراك وهم الفئة الحاكمة في المجتمع، الكراغلة وهم نتيجة لتزاوج الجزائريات بالاتراك فئة البرانية وهم الوافدين من مختلف المناطق والذين يمارسون العديد من النشاطات والحرفية في المدينة، إضافة إلى الحضر والمتكونة من الأندلسيين و الاشراف، بالإضافة إلى الطائفة اليهودية في مدينة الجزائر التي كان لها دورا في الحياة الاقتصادية، إضافة إلى ذلك نجد الاسرى والعبيد الذي تزايد عددهم خلال الفترة العثمانية.

6. كان لهذا النوع في الشرائح ظهور العديد من العادات والتقاليد في المجتمع الجزائري بحيث كان لهؤلاء السكان طابع خاص بهم من خلال الحفاظ على عاداتهم والتمسك بها والتي تجسدت في الحفلات الدينية كأي احتفال بعيدي الفطر والاضحى والمولد النبوي الشريف. واحتفال الختان والمولود الجديد كما لعبت المرافق العامة دور مهم في تنشيط العلاقات الاجتماعية وخلق جو من التواصل بين أفراد المجتمع والمتمثلة في الأسواق، المقاهي، الحمامات، التي اتخذها السكان أماكن للترفيه وتمضية الوقت.

ولتسليط الضوء عن دور المرأة في المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني فكانت عنصرا فعالا حيث لعبت دورا مهما في تنمية المجتمع وتطوره وذلك من خلال ممارستها العديد من النشاطات الحرفية "كالخياطة، الخ" إضافة إلى القيام بوظائف أخرى خارج المنزل زيادة على ذلك دورها التربوي ورعاية أطفالها والاهتمام بشؤون المنزل.

من الناحية الثقافية نجد أن الاتراك لم يهتموا كفاية بهذا الجانب، إلا أن المؤسسات الدينية والتعليمية فرضت وجودها على المجتمع والمتمثلة في المساجد والمدارس والزوايا و الأوقاف والتي كانت تقوم بالدور التعليمي والتربوي إضافة على ذلك ماكانت تقدمه من مساعدات وتنظيمات للسكان فكانت مأوى للفقراء وباعتبار الأوقاف الممول الرئيسي لهذه المؤسسات إضافة إلى أهمية التعليم في المجتمع بمراحله فكانت العلوم ضعيفة جدا في الجزائر رغم ذلك، انتشرت بعض منها كعلم الفلك والحساب...الخ.

وفي الأخير ان هذه النتائج التي خرجنا بها لا تعدو سوى أن تكون مجرد آراء واستنتاجات قابلة للمناقشة والتعديل ونرجو أننا استطعنا تحقيق ولو جزء بسيط من الأهداف المرجوة و الإجابة على الإشكاليات المطروحة وشكرا.

قائمة الملاحق

لملحق رقم 1 : صورة لمدينة الجزائر خلال القرن 16.

مدينة الجزائر في القرن 16

المصدر السابق: خير الدين بربروس، المصدر السابق، ص127.

الملحق رقم 2 : صورة للقنصل الامريكي وليام شالر.

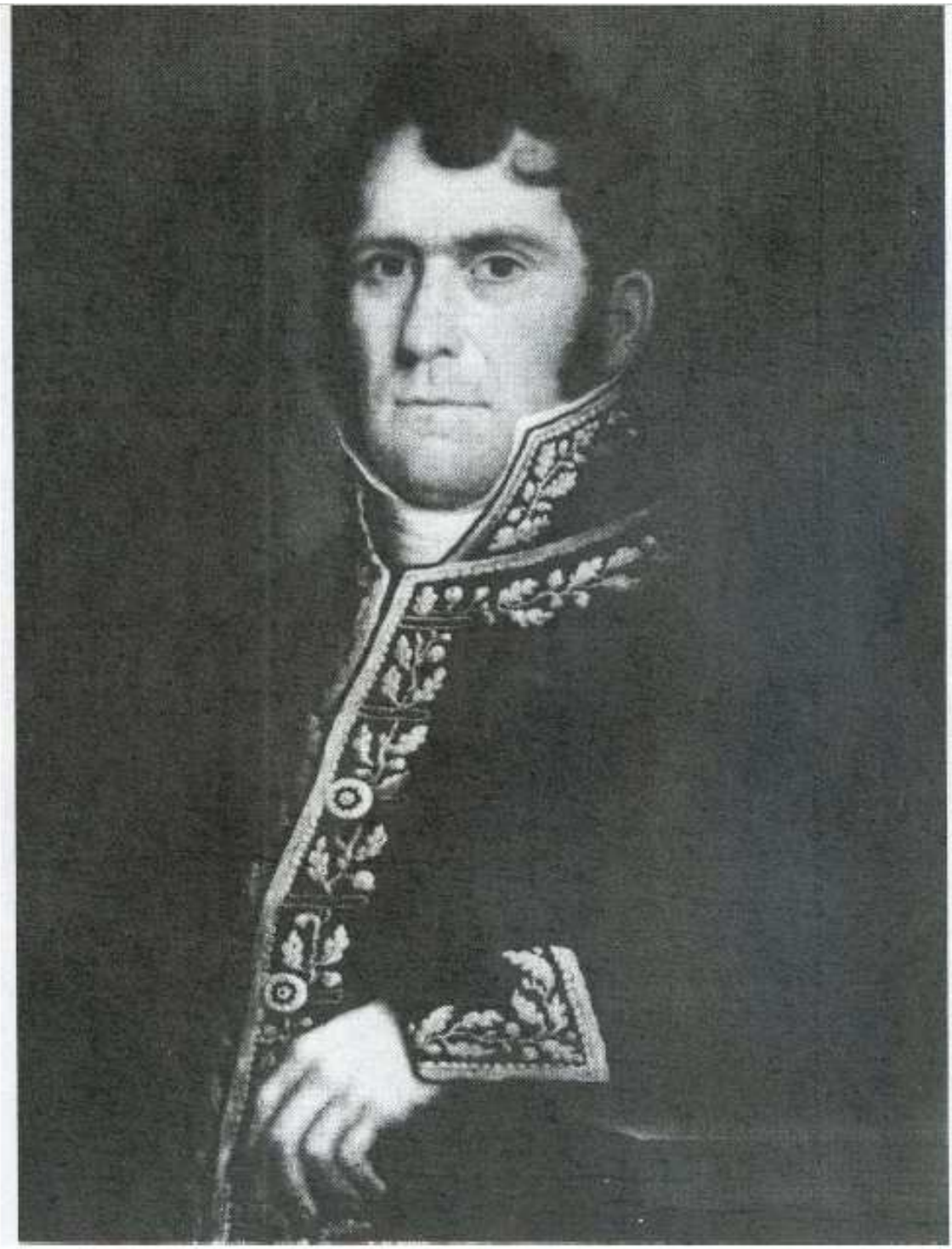

– ويليام شيلر WILLIAM SHALER قنصل الولايات المتحدة بالجزائر من 1815 إلى 1828

المرجع: علي تابليت، المرجع السابق، ص550.

الملحق رقم 3: صورة للباس المرأة الحضرية

المرجع : عمار عمورة , المرجع السابق ص 172

الملحق رقم 4 : صورة لسوق مدينة الجزائر

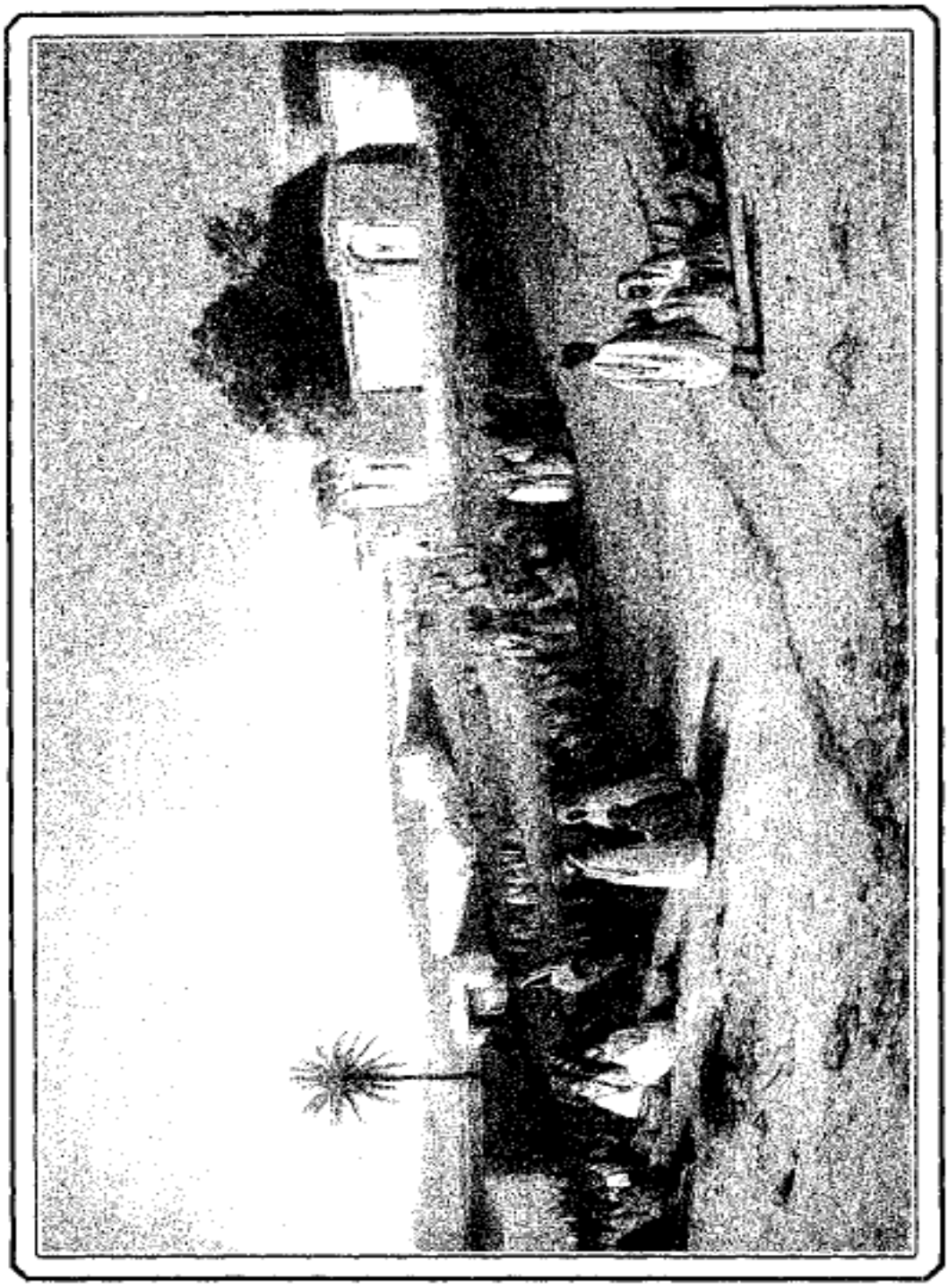

المرجع: اليسور و ويلد، رحلة طريفة في ايالة الجزائر، تح و تق و تع و تر، محمد الجيجلي، شركة دار الامة للطباعة و النشر و التوريع ، الجزائر ، 1835 ، اللوحة 21

الملحق رقم 5 : صورة لحمام عمومي في مدينة الجزائر

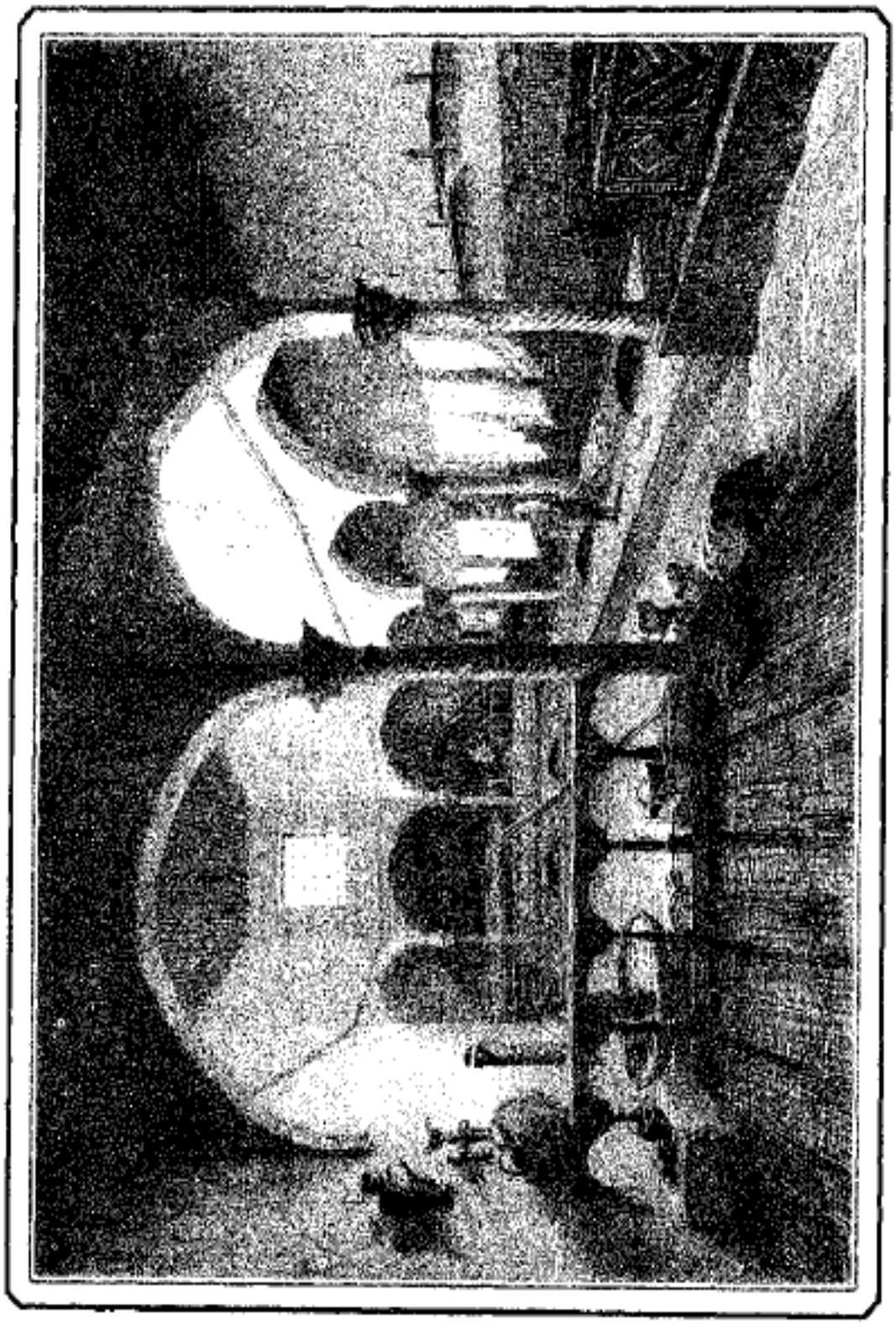

SALLE DE BAINS

اليسور و ويلد، المصدر السابق، اللوحة 37

الملحق رقم 6 : صورة لمسجد علي بتشين

المرجع: محمد حاج سعيد، مساجد القصبة في العهد العثماني تاريخها، دورها، و عمارتها، مذكرة لنيل شهادة الماجيستير في العلوم الاسلامية، كلية العلوم الاسلامية، جامعة الجزائر 1، السنة الجامعية، 2013-2014، ص166.

الملحق رقم 7 : صورة لمدرسة بمدينة الجزائر

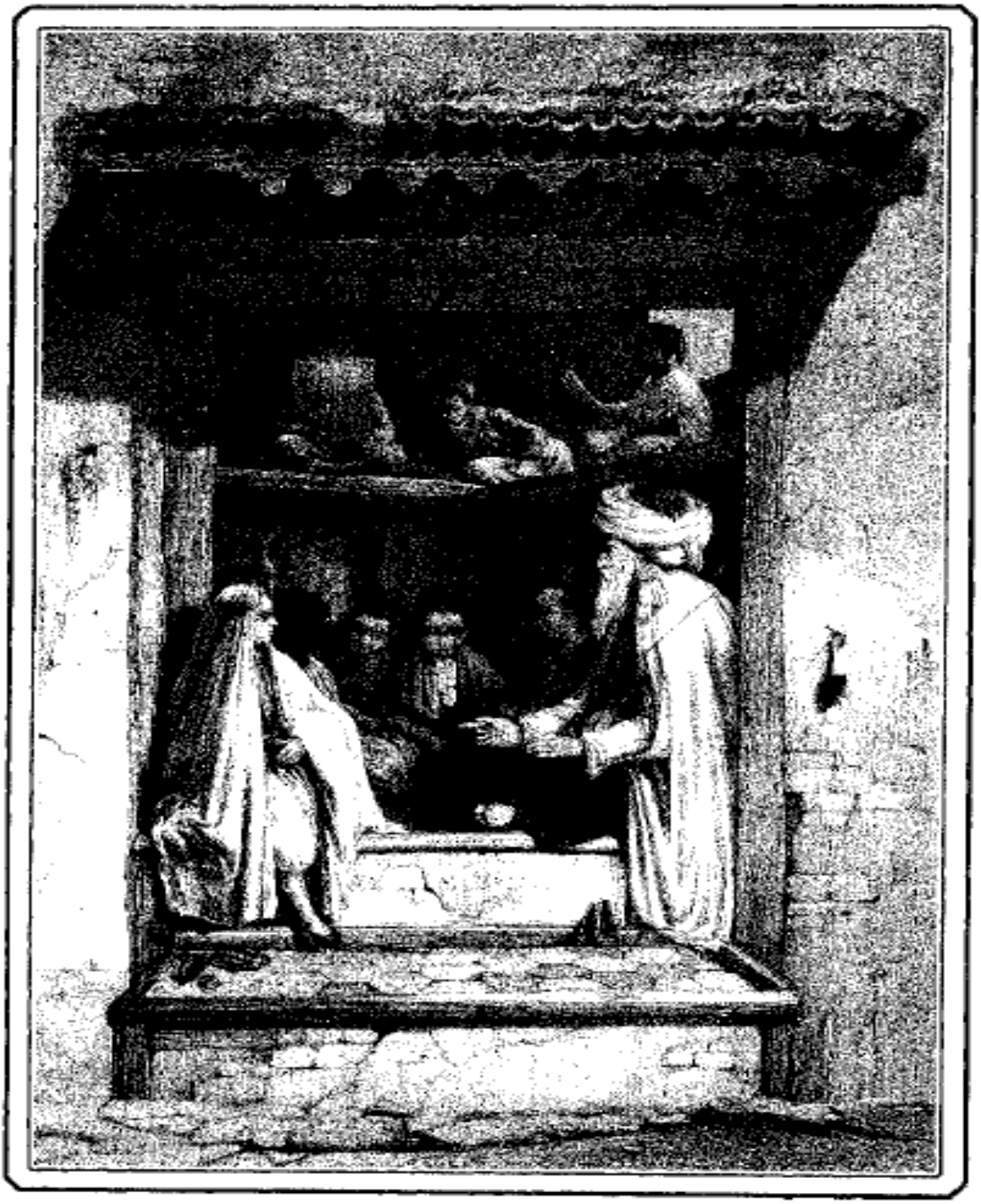

ECOLE

المصدر: اليسور و ويلد، المصدر السابق، اللوحة 24.

قائمة المصادر
و المراجع

المصادر المترجمة إلى اللغة العربية :

1. اوهابنسترايت.ج، رحلة العالم الألماني إلى الجزائر وتونس وطرابلس، 1145-1732م، ترجمة و تقديم وتعليق ، ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الاسلامي، تونس.

2. خوجة بن حمدان عثمان، المرأة، تقديم وتعريب وتحقيق، محمد العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1982.

3. بربروس خير الدين، مذكرات خير الدين بربرووس، ترجمة، محمد دراج، الطبعة الاولى، شركة الأصالة للنشر و التوزيع، الجزائر.

4. بفايفر سيمون، مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، تقديم وتعريب، أبو العيد دودو،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1974.

5. شلوصر فندلين، قسنطينة أيام أحمد باي 1832-1837م، ترجمة وتقديم، أبو العيد دودو، عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007.

6. كاثكارت، مذكرات أسير الداي قنصل أمريكا في المغرب، ترجمة وتعليق، إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982

7. كاربخال مارمول، افريقيا، ترجمة: عن الفرنسية محمد حجي وآخرون، الجزء الثاني، دار المعرفة للنشر و التوزيع، الرباط، ، 1988-1989م.

8. شالر وليام، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر، 1816-1824م، تعريب وتعليق وتقديم ،إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1982 .

9- ايشبودان العربي، مدينة الجزائر تاريخ العاصمة، ترجمة، جناح مسعود، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007 .

10- اليسور و ويلد، رحلة طريفة في ايالة الجزائر، تحقيق و تقديم و تعليق و ترجمة، محمد الجيجلي، شركة دار الامة للطباعة و النشر و التوريع ، الجزائر، 1835.

المصادر المطبوعة:

1. ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون732–808هـ، تحقيق عبد الله محمد درويش، الجزء الثاني، الطبعة الاولى، دار البلخي، دمشق،2004.

2. ابن حمادوش عبد الرزاق، رحلة ابن حمادوش الجزائري المسماة لسان المقال في النبأ عن النسب و الحسب و الحال، تقديم و تحقيق و تعليق ، الدكتور ابو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية،الجزائر،.2003

3. الحسن بن محمد الوزان، وصف افريقيا، ترجمة: محمد حجي ومحمد لخضر، الجزء الثاني، الطبعة الثانية، دار الغرب الاسلامي، لبنان، 1983.

4. الزهار احمد شريف، مذكرات نقيب الاشراف، 1168- 1246هـ/ 1745-1830م، تحقيق، احمد توفيق المدني، الطبعة الثانية، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،الجزائر، 1974.

5. ابن ميمون محمد الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تقديم وتحقيق، محمد بن عبد الكريم، الطبعة الثانية، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981.

المراجع:

1. . بلحميسي مولاي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر، 1981.

2. . جرار كفاح، زوايا ثائرة من اللوحة إلى البندقية، الطبعة الاولى، منشورات الأنيس للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر.

3. . خيراني، واقع النساء في مجتمع مدينة الجزائر في العهد العثماني 1800-1817، دار الامل للطباعة و النشر و التوزيع ، الجزائر،2016 .

4. . سعيدوني ناصر الدين، الشيخ بو عبدلي، الجزائر في التاريخ العثماني، الجزء الرابع، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1984.

5. . محرز امين، الجزائر في عهد الأغوات (1659-1671م)، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

6. احميدة عميراوي، الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني، مذكرات تيدنا نموذجا، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر.

7. بحري احمد، الجزائر في عهد الدايات، دراسة للحياة الاجتماعية ابان الحقبة العثمانية، الجزء الثاني، دار الكفاية، الجزائر.

8. بوحوش عمار، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962م، الطبعة الاولى، دار الغرب الاسلامي، لبنان، 1997.

9. بوعزيز يحي، الموجز في تاريخ الجزائر، الجزء الثاني، الطبعة الثانية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009.

10. تابليت علي، الريس حميدو اميرال البحرية الجزائرية 1770-1815، منشورات ثالة، الابيار الجزائر، 2006.

11. التر عزيز سامح ، الاتراك العثمانيون في شمال افريقيا، ترجمة: محمود علي عامر،الطبعة الاولى دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1989.

12. الجيلالي عبد الرحمن بن محمد ، تاريخ الجزائر العام، الجزء الثاني، الطبعة الثانية، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1965.

13. حليمي عبد القادر، مدينة الجزائر نشاتها و تطورها قبل 1830، دار الفكر الاسلامي، الجزائر، 1972.

14. خلاصي علي، قصبة مدينة الجزائر، الجزء الثاني، الطبعة الاولى، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.

15. خلاصي علي، قصبة مدينة الجزائر، الجزء الثاني، الطبعة الاولى، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.

16. دودو ابو العيد، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان 1830-1855مالشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر، 1975.

17. ركيبي عبد الله، الجزائر في عيون الرحالة الإنجليز، الجزء الاول.

18. سبنسر وليم، الجزائر في عهد رياس البحر، تعليق وتقديم عبد القادر زبادية ، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006.

19. سعد الله ابو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830، الجزء الاول، الطبعة الاولى، دار الغرب الاسلامي، لبنان، 1998.

20. سعد الله ابو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الجزء الاول، عالم المعرفة، الجزائر.

21. سعد الله أبو القاسم ، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الإحتلال ، الطبعة الثالثة .

22. سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي1500-1830، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998،

23. سعد الله فوزي ، قصبة الجزائر الذاكرة الحاضر و الخواطر، دار الارشاد للنشر و التزيع، 2013.

24. سعيدوني ناصر الدين، الاوضاع الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية لولايات المغرب العثمانية(الجزائر–تونس–طرابلس الغرب) من القرن العاشر الى الرابع عشر–من القرن السادس عشر حتى التاسع عشر، كلية الاداب، جامعة الكويت.

25. -شوفالييه كورين، الثلاثون سنة الاولى لقيام دولة مدينة الجزائر1510–1541، ترجمة جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007

26. عباد صالح، الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830م، دار هومة، الجزائر، 2012.

27. عبد القادر نور الدين، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، دار الحضارة، الجزائر، 2006.

28. عقاب محمد الطيب، قصور مدينة الجزائر في اواخر العهد العثماني، دار الحكمة للنشر،الجزائر،2009.

29. فويال سعاد، المساجد الاثرية لمدينة الجزائر، دار المعرفة، الجزائر، 2010.

30. الميلي مبارك بن محمد الهلالي،تاريخ الجزائر في القديم و الحديث الجزء الثالث، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر.

31. ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، الطبعة الثانية، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

32. هلايلي حنيفي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، الطبعة الاولى، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع،الجزائر، 2009.

33. ويلسن ستيفن جيمس، الأسرى الأمريكان في الجزائر، 1785-1797م، ترجمة: علي تابليت، منشورات ثالة، الجزائر، 2007.

المجلات العلمية:

34. بن غرة هشام، احياء نظام الوقف في الجزائر، نماذج عالمية لاستثمار الوقف، مجلة البحوث الاقتصادية والماليةالعدد3، جوان 2015، جامعة تلمسان، الجزائر.
35.
36. صالح اشرف، المراكز الثقافية في دار السلطان (الجزائر) أواخر العصر التركي، مجلة علمية محكمة تصدر عن الاكاديمية الامريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا، المجلد4 ، العدد 7، 2013.
37.
38. عمريوي فهيمة، إسهام الجيش الانكشاري في أوقاف الحرمين الشريفين خلال القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر ميلادي، مجلة العلوم الإنسانية العدد41، جامعة خميس مليانة، الجزائر، جوان، 2014.
39. قرباش بلقاسم، الأسرى الأوروبيون في الجزائر خلال عهد الدايات (1671-1830)، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة مصطفى اسطمبولي، (معسكر)، الجزائر، 2015-2016.
40. مسدور فارس، الأوقاف الجزائرية بين الاندثار والاستثمار، جامعة سعد دحلب، البليدة.
41.
42. المشهداني مؤيد محمود حمد ، أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني،1518-1830، مجلة الدراسات التاريخية و الحضارية، مجلة علمية محكمة، المجلد5، العدد16، جامعة تكرت، الجزائر،2013.
43. نمير اعقيل، المؤسسات الوقفة الجزائرية في العصر العثماني ودورها في الحياة الاجتماعية والاقتصادية، أوقاف المساجد التابعة لمؤسسة سبل الخيرات أنموذجا، مجلة دراسات تاريخية،العددان 110-111،أيلول-كانون الأول، قسم التاريخ، جامعة دمشق، سوريا، 2011.
44. هجيرة حمداني، نظرة حول تاريخ الأوقاف في الجزائر، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، د.مج، ع 32، جامعة بابل، العراق، نيسان 2017.

الأطروحات والرسائل الجامعية:

1. بلعربي لخضر ، فنون النثر الأدبي في الجزائر على العهد العثماني، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في الأدب الجزائري لقديم، كلية الآداب والفنون، جامعة أحمد بن بلة، وهران، الجزائر، السنة الجامعية 2018/2017.
2. بن عتو بلبراوات ، المدينة و الريف بالجزائر خلال العهد العثماني،رسالة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية و الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، الجزائر، السنة الجامعية 2007-2008.
3. بودريعة ياسين ، الثروة والفقر بمدينة الجزائر أواخر العهد العثماني (1786-1800)، دراسة اقتصادية ومقاربة اجتماعية من خلال دفاتر الشركات، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 2 ، السنة الدراسية 2016-2017.
4. تابليت علي، العلاقات الجزائرية الامريكية 1776-1830، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2006-2007.
5. حماش خليفة، الاسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، رسالة مقدمة لنيل دكتوراه دولة في التاريخ الحديث، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، السنة الدراسية، 206-2007، ص321
6. خمشون حفيظة، مهام مفتدي الاسرى و التزاماتهم الاجتماعية في مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير في التاريخ الاجتماعي لدول المغرب العربي، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، جامعة منتوري،قسنطينة، 2006-2007.
7. راجع أحمد مقامات محمد بن ميمون الجزائري ق 12هـ-18م، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية "بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في اللغة، جامعة العقيد أحمد دراية، أدرار، الجزائر، سنة 2008-2009.
8. زهية بن كردرة ، أسواق مدينة الجزائر من الفتح الإسلامي إلى العهد العثماني من خلال المصادر دراسة تحليلية، رسالة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، السنة الجامعية، 1999.2000.

9. شويتام ارزقي، المجتمع الجزائري وفعاليته في العهد العثماني، 1519-1830م، رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2005-2006.
10. صغيري سفيان، العلاقات الجزائرية العثمانية خلال عهد الدايات في الجزائر (1671-1830م)، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والإسلامية، جامعة الحاج لخضر، باتنة،الجزائر.
11. طيان شريفة ، ملابس المرأة بمدينة الجزائر في العهد العثماني، رسالة لنيل شهادة الماجستير في الاثار الإسلامية، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 1990-1991.
12. غطاس عائشة ، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830، مقاربة اجتماعية اقتصادية، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث،الجزء الاول، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، السنة الدراسية 2000-2001.
13. قرباش بلقاسم ، الاسرى الأوروبيون في الجزائر خلال عهد الدايات1671-1830، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية،جامعة مصطفى اسطمبولي،معسكر،الجزائر، السنة الجامعية-2015-2016
14. نوال سقاي ، الحياة الاجتماعية والثقافية في مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني، مذكرة لنيل شهادة أستاذ التعليم الأساسي في التاريخ والجغرافيا المدرسة العليا للأساتذة في الادب والعلوم الإنسانية، بوزريعة، الجزائر، السنة الدراسية 2007-2008.

15- سعيد محمد الحاج، مساجد القصبة في العهد العثماني تاريخها، دورها، و عمارتها، مذكرة لنيل شهادة الماجيستير في العلوم الاسلامية، كلية العلوم الاسلامية، جامعة الجزائر 1، السنة الجامعية،2013-2014.

المعاجم :

1. صبان سهيل ، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية ،مراجعة عبد الرزاق محمد حسن بركات ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، 1421 ه ، 2000 م .

المراجع بالفرنسية:

1. Pananti, relation d’un séjour à Alger contenant des observations sur l’état actuelle de cette régence, trad. ‹de l’anglais, paris,

المصادر بالفرنسية:

1. Devolux. Albert, Les Edifices Religieux De L'ancien Alger, Extrait De La Revue Africaine, Typographie Bastide, Alger, 1870.
2. Haedo Fray Diego,Topographie Et Histoire Général D Alger, Imprimé,Valladolid,Traduit De L Espagnol, Monnzreau Et Burbrugeur,1870
3. M.Rozet Voyage Dans La Régence D'alger Ou Discription Du Pays Occupé Par L'armé Française En Afrique, A. Bertrand Libaraire Editeur, Rue Hantefeuille, Paris
4. Shaler William, Esquisse De L Etat D Alger, Considéré Sous Les Rapports Politiques, Historique, Et Civil,Librairie, L' Advocat,Paris,1830.
5. Venture De Paradis, Alger Aux Xviii^{e} Siécle, Editépar,Bibliothéque Nationale De France,Alger,1898.

المراجع بالانجليزية:

1. Andrew.Alf, Heggoy And Others, Throught Foreign Eyes Western Attitudes Towards North Africa, University Of America, 1982.
2. Roy F. Nickols, Advance Agents Of American Destiny, University Of Pennsylvania.Press.1956.

المذكرات بالإنجليزية:

1. Rezzik Akli Mohand, Domestic And Foreign Issues In American Barbary Copivity Narratives, A Thesis Submitted For The Degree Of Doctorate In English Faculty Of Letters And Languages Department Of English, University Mouloud Mammeri Of Tizi Ouzou, Algeria
2. William And Mary Quarter, The Political Essays Of Williams Shaler, J.C.A.Stagg, Number 2

المصادر بالانجليزية:

1. Shaler Willaim, American Consul Général At Algiers, Sketches Of Algiers, Political, Historical, And Civl, Boston, 1826

الفهرس

فهرس

- **شكر و تقدير**

- **إهداء**

- **مقدمة**

الفصل الأول : نظرة الأجانب إلى مدينة الجزائر خلال العهد العثماني كنموذج ويليام شالر

❖ **المبحث الأول** : نظرة الأجانب إلى مدينة الجزائر ص11-24

❖ **المبحث الثاني** : التعريف بويليام شالر ص24

1. مولده و طفولته ص24-25
2. أعماله و وظائفه ص25-26
3. العلاقات الجزائرية الأمريكية ص27-31
4. علاقته بالأتراك ص32-33
5. وصف شالر للبحرية الجزائرية.....ص34-35
6. وفاة شالر.....ص35
7. مؤلفاته.....ص36

الفصل الثاني : التركيبة الإثنية لمجتمع مدينة الجزائر من الداخل

❖ **المبحث الأول** : التركيبة الاجتماعية.....ص39

1. فئة الأتراك ص39-42
2. فئة الكراغلة ص42-44
3. فئة البرانية ص45

- البسكريون ص45-46
- الميزابيون ص46-48
- القبائل.....ص48-50
- بنو عباس ص51
- الشاوية ص51

- التوارق

.....ص51-52

- الأغواطيون.....ص52

4. الدخلاء ص52

- اليهود ص52-55
- القناصل ص55-57

5. الحضر ص57

- الأندلسيون.....ص57-58
- الأشراف .....ص 58-59

❖ **المبحث الثاني** : حال الأسرى ص60

1. عدد الأسرى ص60-62
2. المعاملة ص63-66
3. المعيشة ص66
4. الفداء ص67

❖ **المبحث الثالث** : العبيد السود ص68

1. أصولهم.....ص68
2. معيشتهم

.....ص69-70

3. تجارة العبيد ص70

الفصل الثالث : الحياة الاجتماعية في مدينة الجزائر

❖ **المبحث الأول** : الحياة اليومية .....ص 73

1-الحفاظ على الأمن والاستقرار للمدينة:.....ص 73-75

2- اللباس ص75-79

3-الغذاء .....ص 79

4-الثروة والفقر .....ص 80-81

❖ **المبحث الثاني** : أحوال النساء .....ص 82

1. وصف المرأة الحضرية .....ص 82-83
2. ممارسات المرأة.....ص 83-85
3. الزواج.....ص 85-86

❖ **المبحث الثالث** : العادات و التقاليد .....ص 87

1. الأعياد المواسم .....ص 87-90
2. تمضية الوقت .....ص 91

- الأسواق .....ص 91-93
- المقاهي .....ص 93
- الحمامات.....ص 94-96

3. الأساطير و الخرافات .....ص 96-98

الفصل الرابع : الجوانب الثقافية لمدينة الجزائر

❖ **المبحث الأول** : المؤسسات التعليمة .....ص 101

1. المساجد.....ص 101-107
2. المدارس و الكتاتيب .....ص 107-113
3. الزوايا .....ص 113-115
4. الأوقاف و مؤسسات .....ص 115-118

❖ **المبحث الثاني** : الحياة العلمية ومراحله .....ص 119

1. طرق التعليم .....ص 119-120
2. مراحل التعليم .....ص 120-124
3. موقع المرأة من التعليم .....ص 124
4. أهم العلوم .....ص 125-126

❖ **المبحث الثالث** : الحياة الدينية و الأدبية و الفنية .....ص 127

1. اللغة .....ص 127-128
2. الدين .....ص 128-129
3. الفن و الموسيقى .....ص 129-130

- **خاتمة .....ص 133-134**

- **قائمة الملاحق.....ص 136-142**

- **قائمة المصادر و المراجع .....ص 144-150**

- **فهرس الموضوعات .....ص 153-156**